شكـر

.....

إذَا وَجَبَ الشُّكْرُ فَلَابُدَّ مِنهُ عَلَى مَا فِيهِ
مِن عَلقَمِ الذِّكْرَى .. شُكْرَاً لِكُلِّ مَن تَوَجَّنِي عَلَى قِمَّةِ وَجَع .... شُكْرا لَمن رَدَمَنِي فِي فُوَّهَةٍ مِنَ الغَضَب .. وَشُكْرا لِكُلِّ مَن عَلَّقَنِي فِي اطَارٍ مِن ذَهَب ..

وَشُكْرٌ لَا يَنْتَهِي لِـ(شَخصِيَّاتُ مِن وَرَق)

الُمقَدِّمَة

.....

على وتيرةِ الماضي تتَساقطُ ذكرياتي ...؛صورةٌ تلوَ صورةٍ .. تُعرقلني تعرُّجات الطريق إلى سماءٍ حالكةٍ مُطرَّزةٍ ببريق أسماءٍ زائفةٍ تتوارى في شُحُوب الوَرَق ، سأفرطُها وأُمزِّق خيوطها الناعمة المُلتفة حول عُنقِ الأمل .. ؛ أرمي بها عرضَ جدارِ النسيان .. سقطَ الجَبلُ الأكبر الأثقل يجرف الأصغر الأجمل ؛ في وجوهٍ سطعت في جُمجمتي حقبةٌ من الألم ؛ وأرعدتْ مساكِن الخيال .. عكَّرت صفوَ عينىَّ المتلونتين بزُرقةِ الدُّمُوع وخُضرةِ الطُّموح .. في كُلِّ صُورةٍ أَلفٌ من حكاياتي ...؛جَمعتُها في ؛ شَخْصِيَّاتٌ مِن

وَرَق ؛ تَسلسُلًا على سلالمِ الزمَن حَسبَ ظهورها في شاشات عرض الوجَع ، يتخلَّلها فاصلٌ من لقطاتِ الفرح ، تحكي كل صورةٍ قصتَّي مع ملامحها !! ...؛صورةٌ احتلَّتني ولا تزال .. و صورةٌ هَجرتني ملامحها قابعةٌ في سُفُوح الانتظار ..
وصورةٌ تهالَكت تحت كومٍ من الغبار ، وَصورةٌ تآكلت من اقتضام الآلام .. وأُخرى ضاعت بين الأُخريات .. وَصورةٌ باهتةٌ لا ملامح لها .. وصورةٌ مُمزَّقةٌ أجمعُ أشلاءها ، ولا تنتهي الصُّور؛ لأنَّ في صورتها صورٌ حطَّمت صُوَراً ...؛ حتى
ضاعت ملامحي في طِيَّاتِ الصُّور !!
" شَخْصِيَّاتٌ مِن وَرَق " صفحاتٌ مُختصرةٌ من واقع الحياة لكاتبةٍ اندَثرت في زَخَمِ القصص .. وانتفضت لقضيَّةٍ من وَرق . تلتهمُ الكلمات .. وتحتسي الحبرَ أحمَرَ ؛ وتسافِر في النهايات بين واقعِ المرار و خيالِ الانتصار تتجرَّع سمومَ الانكسار ..
تمتطي الحروف على صهوةِ المألوف؛وتُسابقُ السُّطور في ساحةِ المجهول ؛ ورفيقُها طائرٌ يحومُ في عَتمةِ الذهول " شَخْصِيَّاتٌ مِن وَرَق " بعضُ الورق مُتماسكٌ في أغصانِ الحقيقة .. وبعضهُ تَناثر كالرَّماد مُحترقاً بحرارةِ النسيان .. وبعضٌ منهُ سقطَ في وطأةِ الإنسان .. والورق ؛ يسافرُ في خيالات الألوان – مُلطَّخاً بالأحزان – تَبتسمُ دون زمان ..
عنوانُها ممسوح .. و وَجهُها مَفضوح .. وتاريخُها في عِدَّةٍ مجروح .. عفواً من بعضها ؛ في قُبحِها جمال وفي موتها مثال لابُدَّ أن تُحال لمحكمةِ السُّؤال ؟!
وشُكراً لبعضها ؛ في حُسنها مَقال يُصاغُ للكمال في صورة الخيال .. وأسفٌ ..... !: ففي بعضها زوال !؛مدفُونُ دون رمال قد ضاعَ بالترحال هذا هو كتابي

" شخـصيات من ورق "

بقلمي أنا
هـيـــلانـة الـشـيـخ

.....
شـخـــــصيَّات مـــن ورق

شخـصيات التكـوين والـرحلة الأولى

.....

أمـي

أُمِّي .. الصورة الراسخة الخالدة التي بذرتني فـي مُستنقعٍ من الحزن ، وحولَّتْ الأُمومة غُربةً تجرَّعتها لُقيماتٍ صغيرةً ؛افترشتُ نظراتها القاطبة على وسادتي الخالية !!
أَنام ألتحفُ الصُّورة الداكنة في بلاطٍ مُبلَّلٍ من دموع الطفلة – أنا – وحبلٌ شائكٌ يخُزُّ كفَّىَّ؛ولا أتذكَّر ما كانَ قبل الثالثة من العُمُرِ ، قرعت بداية الزمن .. تسير العقارب عاماً تلوَ عامٍ ؛
تقف كُلَّما اكتملت على هذه الصورة .. إنَّها أمِّي ؛ أدركت في الدقَّةِ الخامسة أنَّها أمِّي عندما اختفت
كُتلة الطفل تحت ثوبها و بكت تشتكي نار فراقها .. – خالد – مات في بطنها وغسَّلهُ الرَّجُل الكهل وأخذه بعيداً ، يا طالما بحثته

في المارَّة عبر نافذتي الصغيرة .. سار العقرب عاما آخر ووجهها بدأ يُضيء .. استوقفني طويلًا هذا المخلوق الصغير بين ذراعيها كأنَّه ملاكٌ يُرسل النور عبر الحجرة الباكية – عمر – كيف مضى العام ؟!.. ولم تمضِ الثلاثة أشهر حتى رحل وترك أمِّي تتحسَّس المكان منكبّةً على صوت نحيبها الأحزان ،
ودارت الساعة . انقلبت الورقة كأنَّ شيئاً لم يكُن فـي صخب الزغاريد في بيت جدَّتي المنفيَّة تحت شجرة الجوافة
ودير البلح المُزدحم بضحكات الحياة ورائحة الطين المُعطَّر !
أمِّي ؛ لم تكن معي وفـي العودة إلى الدَّار الدَّار تنهار وتنكشف دون سقفٍ ، دون باب .. أين أجد مريم الراحلة بين أعباء المرار ؟!
لا وجود ، ولا قُيُود تحتضن فرحها متشبِّثةً بأسنانها كل دقائق الخلود ، ترسَّخت صورة الثدي المُمتلئ بدفء الأُمِّ فـي ثغر التضحية ، كبَّلني هذا المنظر حتى تزمجرت فـي وجه الظُّلم كأنّي الدِّرع الناعم يذبح أبي كي تعيش أمِّي .
وما دارت الصفحات كثيرا حتى هاجرتُ فـي السابعة عشرة إلى قلعة الزوج العالية فرَّقنا المكانُ ليجمعنا فـي صورة الأُمِّ تقطف أملًا لطفلين بحجم طفلٍ واحدٍ – نورة و سعد – هل تثقين بقُدرتك على رعاية الطفلين يا طفلتي ؟!
كانت هذه جُملة المُقدِّمة للفصل الأول من رواية الأُمومة
وتلتحم الأُمومة فـي صهريج الحرب على أمومة الطفلة – أنا – وتكتمل الصُّورة
أمِّي : الخليلُ الوفـيُّ والقلب الشجيُّ تمتصُّ رُوحي وأيَّامي كي تنجو من الغرق فـي دوَّامة الفقر اللعين ، فداكِ العُمر ولو أكثر .
حتى ترنَّخت قُوَّتي ولم أعُد أطفو ، وسقطتُ للقاع أتنفَّس الموت

فـي مــوج الـبـقـاء

أمِّي ؛ تشبَّثت غيري ولم تمد يدها لي ، عزفت بعالمها الجديد بين مرارٍ وحلاوةٍ ، بين عذابٍ وسبات نتقابل بين الغُرباء أسترق قُبلةً على كفِّها الطاهر.. وجُملةً من صمتها القاهر.. ودارت السُّنون لا أذكر لها العدد حتى عُدتُ إليها أسيرةً دون عنوان .. دون بعضي ، دون ورقي ، لا متاع ولا هُويَّة

تجمَّد الشعور داخلها ، تحجَّرت كأنّي لا أنا أنا ولا هي هي .. أقترب فتبتعد ، أبتعد فتقترب ، تغمُرني بِكُليمات ...وتقتلني بصفحات .. أرهقتني أمِّي !

لم نلتقِ وافترقنا وفارقنا المكان !

أمِّي ؛ كتبت على صفحتي:

" ربَطُوكِ بحبلٍ حرير ولم يعرفوا أنَّكِ تموتين شنقاً كُلَّ يوم ؛لكِ الله يا بُنيَّتي "

.....

أبـي

أبي ؛ هل تُسطِّرنا المساحة ؟!.. أم تُصوِّرنا الصَّراحة ؟

عندما أيقنت أن هذا الرَّجُل أبي كان جسدي مُشتعلًا في قبضتهِ الباردة وصدره الحنُون ، كانت الحُمَّى تُغيِّبُ الصُّورة وتُقليها وتدور ضائعةً دُون ملامح . لكنَّ صوته النقىَّ يُحاول لمَّ جسدي وتحريك أشرعتي نحو برِّ الأمان .. لم أكُ أسمع غير هذا الرَّجُل. كان كُلَّ الأصوات والرِّيح والشمس والأرض والدرب !

كان التمثال المُتصدِّر كُلَّ لوحاتي حتى سقط و تهشَّم و شُرِخَ

بكدمةٍ من قدري اللعوب كان يتقنـَّع بكذبة الأب أمام ولديه المغضوب عليهما . كانت نظراتي تختـرق كينونته و تـُمزِّق خارطته البالية و لم يـُدرك أنـي بـشر !
صمتي أوجع رُجُولته المُلتهبة على سُكُون أمِّي – أنا – وصلة الهمز بين أبناء أبي وأبناء أمِّي !.. أنا بـكْـرُ الزوجين المُتحابين في فـُوَّهَـة العِـرَاك ، أنا الجمرة المُشتعلة فـي صدر أبي و أوَّل صفعةٍ هزَّت وجنتي الرقيقة على عقارب السابعة من ساعتي أغرقت تمثال أبي فـي بحر النسيان أبي هذا الشُّمُوخ ؛ علَّمني عدم الرُّضُوخ وإن تـمردَّ جسدي النحيل ورفض العيش كالذليل ، فذاك أنّي فتحت ذراعىَ أحتضن الحُريـَّة فـي درعٍ جليل و تمور السُّـنـُون تختلج الفرح بالحُزن المرير وتشنقني بخيطٍ حرير أتيت أبي أستغيث الأب فيه فصدَّني بجُملةٍ مسحت كُلَّ الصُّور القديمة وفرضت صورتها المهينة يوم جاء يُحاكمني كيف لي إشهار سكِّينٍ في صدر أخي ؟.. لم يكترث
للحقيقة ؛ ولم يترك لي دقيقة و انهالني ضربا كأنّي الجبل و وجب هدم الجبل ؛ ساعاتٌ مرَّت حفرت ملامح الألم ولم تسقط دمعتي لتـُطفئ سَمُوم أبي حتى سقط
يـُتمتم غضباً: لو أنتِ حجرٌ لنسفته ضرباً ، ألا تشعرين ؟!
وتتسع فـُوَّهَـة العداء بيننا و كُلَّما التزمتُ الصمت كُلَّما انهالني ضربا إلى أن تبلَّد جسدي و ماتت خليَّـة الوجع !.. ولم أبالِ فداخلي يتردَّد صدى ذاك الحزام وأرجُل المقعد المكسور على زوايا هيكلي !وسوادٌ يـُوشِّحني يـُجفِّف ضعفي و يجبـرُ فـقـري ، تنحَّس جِـلْدِي لكنَّ قلبـي ينبض بالوجيـعة فأخجـل كـشف الفجيعـة

لماذا ؟!.. إلى أين أخدتني أيـُّها القدر لأنكسر على يدَيـْن كان أجدر بهما الرحمة أو الصبَّـر ؟!
تـُعوِّقـُني المُفردات لكن سأسترسل !
قرَّرت الهجرة من بيت أبي إلى قلعة عدنان ولا أذكر كيف مَلَكَ ؟
ابتعدتُ ليلة زفافي بعلاماتٍ زرقاء لوَّنت وجنتي وبعض جمالاتي
وغادرت المكان والزمان قاطعةً عهدي بأن لا أعـود ، وهل أعود ؟!
لم يخطر ببالي أن أعود ، رسمتُ ملامح السَّعادة على ملامحي البائسة وتقنـَّعت قناع الحُبِّ بكذبةٍ عانسةٍ وإذا أتيتهُ زائرةً كالغـُرباء بيننا خُطواتٌ حابسة لكن !؟ .. استوقفني
ذُلُّ الفقر فـي وجه أبي المغرور الرافض العمل لمُجرَّد العمل ،
وإخوتي يتألمون هذا الذُّلَّ المستور !!
تعوَّدت جمع بعض الهدايا الثمينة واختزانها ليومٍ أسُـدُّ فيهِ بابا من أبـواب جوع . ويوم احتكمت مبلغا قرَّرت وضعه أمام

الفقر ، وإذا بادرت الأولى لم أحسب عواقب الثانية والثالثة والرابعة والمئـة .. كان مُرهقا مُوجعا ، ضريبتهُ أكبر من مكانتي ولا أجد لها مُسمَّى هنا غير أنّي استمتعتُ تجرُّع الذُّلِّ حتى لا يتجرَّعهُ أبي .. وبدأت ألتصق بالتمثال الآيل للسُّقوط حرصا على بقاءهِ أعواما أكثر .. لكنـَّه أثقل علىَّ وحنى قامتي على طاولةٍ تـُصْـلَبُ عليها الكرامات كي يُقام عليها قصاص الدَّيـْن ..
وهكذا تتصور الدراما بين الأب والابنة الفاشلة !؛تـُحاول الاستغاثة مرَّات ومرَّات بالتمثال المُتصدِّع المُشقَّق و ليت التماثيل تتغيَّر وتنطق جُملةً مُفيدة !؟
وعلى مصرعيّ الزَّمن أرتمي بين جُنـُون العاقل وغياب المجنـون ، صدمةٌ عصبيَّـةٌ حادَّة أفقدتني شريط الصُّور المُتراكمة بدون تسلسُل وما إن عُدت أُلملمها حتى أيقنتُ أنَّ الحُكم صدر بالغاء

أُمومتي وكُلِّ مُفرداتي عن الـوُجُـود .. ولماذا أنت أبي ؟!... وما ذنبي الذي أُعاقب عليه حتى تـُلغى إرادتي ويـُقرِّر الجميع وضعي تحت المُراقبة ونزع صورة الأُم من داخلي ؟!.. لا عتب علىَّ إذا خرجت خِلسةً في أكناف الظلام لأختفي بين أولادي وأرفض هذا الموت الصادر تعسُّفاً عليَّ .. يجب أن أعيش ما دُمت أتنفَّس بعض الهواء وأتجرَّع بعض الماء .. غادَرتُ المكان ترتجف قدماىَ دون حذاء ، أتسابق اللحظات الفاصلة بيني وبين قبضة أبي نعم؛ كان كالغول ، صوته كالسِّياط يجلدني ، و كنتُ هشَّـةً هزيلةً كالمومياء لم أتناول الطعام ثمانية أيـَّام ، ركعت أمام أبي أتوسَّله رحمةً بحالي ، لو تركني أتحسَّس جسد أولادي ووجنات بناتي لهانَ فراقهم لكنه انـتـزعهم من رُوحي بشراسةٍ طاغيـةٍ لـم يأبه لجبروت الأمِّ داخلي ؟!

وغادرتُ هاربةً أحتمي – عدنان – فالتقفني كصيدٍ ثمينٍ دون مُقابل.. دارت عقارب الزمن ثلاث سنوات ، إذا اقتربتُ من شارع منزل أبي ترتجف الصُّورة و ترتعد الذكريات .. ومع مُرُور السَّاعات تحنـَّط القلب وكأنَّ أبي ليس أبي يوم أُجبرتُ للخروج دُون مكان لم أتذكَّر أنَّ لي مكان فرحلت على بلاط الحرم النبويِّ ثلاث ليالٍ دُون زادٍ و لا مكـان أحتـبـسُ مرارتي وأتجرَّعُ حسرتي ، أعـتكف المـــوت سبيلًا لكنَّ صورةً بدت تـُراودني أبي !؟ .. هل يحتضن جُثماني وبقايا الأيـَّام و لا أمل إلَّا ربـِّي ؟

قرَّرتُ مُهاتفة – ميَّـادة – بصيصُ الأمل الوحيد للنجاة و لم تكُ رغبةً في الحياة بل أوجاع الجوع التي كسرت إرادتي ورضخت لها فلا سبيل ولا بديل ما إن سمع أبي إلَّا وأسرع إلىَّ بوعُـودٍ وبيـوتٍ من رمل الخداع كي أعود إلى قفص الذُّلِّ والاستعباد !!

اتفقنا أن لا يحول بيني وبين أولادي ولا مُقابل . فأنا لازلت المُتفضِّلة بما قدَّمت من مُمتلكاتي للدفع المُؤجَّل ... هكذا بدا لي الأمر المكذوب حتى استلمتُ مُستندا يُثبت انفصالي عن – عدنان – دُون رُجُوعٍ عن العشرين عام الماضية ..
أبي تعوَّد ضربي والشَّيب يخُطُّ رأسي كأنه يتصيَّد فُرصةً للانتقام من بقايا رغبتي للبقاء ليلة السَّابع والعشرين من رمضان ولدي – محمد – ساقه الشوق إلى رُؤيتي ولو لحظات يسترقها خلسةً يُقبِّلني ويحتضنني ، وما كاد حتى أدرك أبي وجوده فضربه على وجنته الطاهرة ، فبادر محمد بتقبيل كفِّ جَدِّهِ مُتوسِّلًا إيَّاهُ العفو والسماح ، لم أحتمل فصرخت ؛ هذا كثير ، لو أنَّك يهوديٌّ لما بادرت بضرب ولدي بجريمة الاشتياق لأُمِّهِ ..
عصفت الدقائق بين ضربي وضرب ولدي ورحل محمد مُتوسِّلًا العفو والمغفرة ، وما عاد ، لكنَّ وجعي نطق يصرخ رافضا وينشد ربَّه عقابه العظيم فسقط أبي مُرتطما بالأرض بعد أن غادر مُحَمَّد وبعد أن فرغ من ضربي سقط التمثال راكعا يتوسَّل المرض الرحيل وفي نزعة الألم لم يجد غيري من سبيل !؟.. تخيَّلتُ أنَّها آخر اعتداءات أبي وتفاءلت ملء الكون أن عذاباتي ستنتهي لكنَّها لا زالت تعبث بفرحتي وتُخرِّب الحلم النائم في سُباتِ الصُّور أبي ؛ كان يُكلِّفُني ثمن الإقامة ويتربَّص فُرصةً لاقتصاص جناحايَ العاطلَين عن الطيران يفتح باب حُجرتي و يركل المقبض وينتزع غفوتي لأتفه الأسباب .. يا طالما تخبَّأت في بيت الخلاء تجنُّباً للاصطدام بمفردات الذُّلِّ ، حتى آخر عيدٍ ودَّعني بوجبةٍ دسمةٍ من الضرب المُهين لم يحسب حُسبان أحفادي يُقْبِلُونَ إلىَّ يُقَبِّلُون وجناتي المُتورِّمة ..
رسمت أصابع الظُّلم إصبعا إصبعا ودُون ذنبٍ اقترفه

ولم تمض أيـَّام حتى تعرَّض أبي لثـُقب في عينه اليمين فلم يـُرحِّب إخوتي له بالعلاج على عجل أينما يريد .. ذاق مُعاناة الألم تحت رحمة ولديهِ ، فأحزنني حالهُ ورغم فقري مددت له يد العون ولو بجُزءٍ بسيطٍ ليس كرمًا ولا شفقةً ولكنَّ عيني المُصابة تـُؤلمني أكثر كُلَّما رأيت عينه لا تـُبصر !

هل تذكَّرت يا أبي أنـَّك تحتكم كل ما أملك و لم تستوعب أني أعيش بِعينٍ واحدةٍ والثانية موجوعة !؟

رافقتك السلامة أيـُّها الأب العظيم .. رافقتك السلامة .. يومها افترقنا من جديد وإن تقابلنا !تقابلنا أغرابا

.....

نسـرين

الصُّورة الباهتة يكاد يمحوها الـزَّمنُ رغم جمالها !

توأمي الذي أسبقه بعامٍ ونصف؛ والصديقة الشقيقة الحاضرة الغائبة لم نختلف ولم نتفق و لم نجتمع ولم نفترق !؟ .. أكادُ لا أتذكَّرُ ملامح طفُولتنا ، فقط أذكُرُ دُمُوعها كُلَّمَا تحيَّز الـقدر لي عليها مُقابل مرَّاتٍ تكُون لصالحها ! وأذكُرُ دُمُوعها كُلَّما استمعت قصَّـةً من قصصي الحزينة !.. لكنَّ ملامحها بدت تختفي من ورقاتي !...؛ولا أكترثُ السَّبب !!

.....

ميـَّادة

تختفي بعض الصُّور فـي طِيَّاتِ الصفحات ؛ ولكن
تبقى صُورةٌ راسخةٌ فـي مُقدِّمـةِ الألبـوم !
أكادُ لا أتذكَّرُ أنَّ لـي أهـلًا إلَّا أنَّ – ميَّادة – استثنت القاعدة
وكسرت المألوف بصمةُ العشرة فـي صُـورة الأُخت
فتحت بابا من العطاءِ لا ينغلق مع عـواصف الـزَّمن !
احتضنت أضعف اللحظات بعُذُوبة النهـر المُتدفِّق فـوق أرضٍ
جدبـاء يأسرُنـي الماضي فـي صُـورتهـا الجميلة
تعلَّمتُ أنَّ الأُخوَّة تمتدُّ رغم بـُعْـدِ المسافات ، وتنتهي فـي بضع
طعنـات ، أنـا لـي أُختٌ ألـغت الصُّورة و وضعت صُـورتها فـي
كُـلِّ الصفحات .
أحُـنُّ للخُـبـز السَّـاخنِ من يديهـا و وللنوم على مخدَّتهـا وللعبِ
مع قطَّتها – مُدلَّلتي ابنتها التي تجـرَّعتني حتى كادت تكون
صُورةً مُصغَّرةً عنِّـي – إذا مـا مـرَّتِ الصُّورُ فلن تمُـرَّ صُورةٌ
جمعتنا ولو فـرَّقتنا آلاف الأميال

.....

عـدنان ؛ شريك العذاب
عدنان ؛ هذا العنوان الزَّمان والمكان والعمرُ والعشرون
عاما ، الزوج والد الأبناء السبعة والسجَّـان .. تقدَّم خاطبا ؛ وأنا
تَقدَّمتُ بالقبول دون عُلُول !.. كان طالبًا في السنة الرابعة من
كلية التربية والفنون . النصيب قدَّرني لهُ زوجة و أُمًّا لأولادهِ
السبعة !رغم كل التناقضات اجتمعنا عشرين عاما ودون غرام

ودون ملام و دون كلام زوجان غريبان غريمان .. أول لقاء كُنت مضطربة لم أتأمل الملامح ومرَّت سنتان وأنا دون ملامح
كُنتُ دُميةً بين يدَي الرجل المُستمتع بتفاصل الجسد الجميل كما الماسة البرَّاقة وجب تغليفها وكنزها في خزانةٍ للمناسبات فقط في شهور الخِطبة اقترب من وجنتي على غفلةٍ وبدون حسبان ، رفضت القُبلة واستدرتُ عابسة فانطبعت الصورة ولم يسألني بعدها قُبلةً أبدا .. لم أُدرك معنى كلمة – زوج وأظنني لن أُدركها أبدا – تزوَّجت وأنا في السابعة عشرة عام ١٩٨٩ و كنت طالبة في الثانوية نحيلة الجسد مسلوبة الأحلام أبحث حياةً غير حياة أبي فلم أتفكّر كيف وماذا ومتى وإلى أين ؟!
سرقتني صورة الثوب الأبيض وباقات الورد الأحمر ورائحة البخور وصوت الطبول يقرع رأسي المسطول وكحلٌ أسودٌ سال على خدِّي وعدسة الكاميرا تلتقطني لحظةً تلوَ لحظة حتى دخلنا الحجرة السوداء و كُنتُ حائضا ولكنه ليس السبب .. فلم أُدرك أنَّ اللُّعبة لابُدَّ أن تمتزج بحقيقة الورق وأن تستلقي صامتة و لسكينٍ خافته ، مضت ليلتان غادرنا الحجرة وكأن شيئا لم يكُ .. غادرنا إلى مسكن العائلة حيث حجرة والدته الراحلة قبل زواجنا ببضع شهور كادت تكون ساعات .. حجرةٌ من الخشب المُعتَّق برائحةٍ حزينةٍ ومَفرشٍ من الستان المُطرَّز الشائك حجرةٌ دون مفتاح . ولا أزال أبحث عن المفتاح !؟
مرَّت ليلةٌ تلوَ ليلةٍ أندمجُ بين الفتيات لعبا ورقصا وهو بين السيِّدات يتناول الثلاث وجبات ونتقابل ساعة الغفوة وربما لا نتقابل حتى حان الآوان للختمِ الرسميِّ لفضِّ البكارة تلبيةً للجهات العُليا الرسمية ، دخل مُتحيِّرا كيف يبدأ وكيف يفعلها وكيف أقبلُها أنا ؟!

كادت تقع مرةً تلوَ مرة فأفِرُّ كالأرنبِ على المخدَّة أجهش بالبُكاء ..
أتأمل صورةً تراودني كلما اقتربني هذا العدنان وهي صورة حارس العمارة يوم استلقي بجسدهِ فوق جسدي ومزَّق ملابسي في سطح المنزل في منتصف الظهيرة وأنا ابنة الثالثة عشر ، يومها نزلت بوجنتي المرضوضة لم يخطر ببالي أنها محُاولة اغتصاب ، فحِدَّتي حالت بينه وبين فضِّ بكارتي
وقتل طهارتي ، لكنه قتل الأُنثى داخلي وزرع الرُّعب من جسد الرجل عدنان .. لابُدَّ أن يتمم رجولتهُ ولو بالإكراه في حافة سريرٍ وبابٍ موروبٍ على ضوءٍ خافت بلونٍ أزرقٍ ودون خلع ملابسي وقعت الواقعة وكأنها لم تقع في كل مرَّةٍ تقع ، هذه هي وجبةُ كل شهرٍ بعد غَسُول الطمث وبعد عامٍ ونصف أدركت السبب،
كان يُلقِّح الجرَّة بحثا عن الثمرة لم نتفق ولم نحاول وفي المناسبات كان يُصفِّف شعري و يتفانى في ارتدائي أجمل الحُلَّات ، كنت محط أنظار القاعة وفي كل مرةٍ ينتظرون الجديد ، أطلقوا عليَّ لقبَ الباربي ، وبعضهم – السندرلا– وهج الحياة وبريق الصورة أفقدني تلَمُّس الحقيقة بدأتُ أشتكي أعراضاً غريبةً في جسدي أشعلت مخاوف عدنان فطار بي من طبيبٍ لطبيب حتى وصلت إلى عيادات الدكتور " سمير عبَّاس "
أخصائي العُقم والتلقيح الصناعي وأشهر أطباء طفل الأنابيب ، خرج مفزوعا لحالتي صارخا :ماهذا الغباء أنت قاسٍ .. يبدو أنَّ رقتي هتَّكت جسدي وصبري أحرق جلدتي فباتت
الصورة مُرعبةً ولم أُدركها ولم أشتك وتداويتُ بجُرعاتٍ كثيرة من الحُقن الموجعة شهرين كاملين وفي عزلةٍ تامةٍ حتى حان موعد التلقيح ، كان مُقترحاً من عدنان فردَّ عليه الطبيب :لا حاجة لها بذلك فقط انتظر بلوغها الثامنة عشرة ولو لم يتم الحمل نتستخدم

التلقيح . رفض عدنان وتمسَّك برغبته ، وأنا لا قرار لي تُنتَهك الأجساد بذريعةِ الُأمومة و تبدأ الوَليمة في مائدةِ الظَليمة ، تمدَّد جسدي على طاولةٍ معدنيةٍ ومجهرٍ دون ((تبنيج)) لعملية توسيع الحوض وتمرين المهبل لاستقطاب السائل كَمرحلة أُولى عوضا عن الجراحة ولم تنجح ! تبعها شهر من الحُقن الهرمونية أربعةٌ في كل يوم وعلى جسدي الصغير البالغ الـ ٤٤ كيلو جرام امتصاص الجرعات ولم يتم !؟.. حتى باتَ التلقيح المجهريُّ هو الحل الأخير .. وتحت التبنيج والتجارب مع الجميلة المُطيعة لُقحت سبع بويضات ، والغالب هو الفشل بسبب حجم البويضات الأصغر من المفترض ثبتت ثلاثة وفشلت الأربعة . إعجاز من وجهة نظر الطبيب ولكن الراحة.. الحقن المثبتة للجنين .. الأدوية المُساعدة والفيتامينات شبه نزيف في المعدة ، و حالة اضطراب شديدة للجسد الغير متهيأ للثلاثة أجنَّة ، فسقط الأول بداية الشهر الرابع و أُرعب قلب الطبيب وتعرقلت الحسبة قرَّر ربط عنق الرحم بأربع غرز مكينة ورغم ذلك تفتَّقت الخياطة وبدأت بوادر الولادة المبكرة وحالةٌ طارئةٌ تحت المجهر في الرعاية المركزة بين الحياة والموت لجسد بلغ ٥١ كيلو جرام يحتوي طفلين يزن الواحد كيلو وأقل من النصف بمجملٍ لم يتم الثلاث كيلو جرامات وحالةٌ عجيبةٌ لولادةٍ متعسرة .. لا موجات تفتح الرحم ولا مثبتات توقف الوضع وحالة اختناق بسبب ضيق المساحة الكلي لجسد الطفل
لا اختيار إلَّا " القيصرية "
وتـمَّت ؛ وكاد ينجو الولد ـسعد ـ خرجا كتلتين من اللحم الشبه متخلق للجهاز الحاضن بضع أيام أتعارك أنا فيها الحياة رغبةً فـي احتضانها !

كانت معجزة أذهلت الأطباء أن أستجمع قوتي للوصول سيرا دون مساعدةٍ علَّني أُشبع عينىّ بصورةٍ تتدفق بالأمل متشبِّهةً بحجم إيماني أنَّ ربّي سيجبرني بهم ، بدأت أتجاهل وجود عدنان وشاغلي الشاغل الطفلان " هل تستطيعين رعاية الطفلين يا طفلتي ؟!" .. كانت هذه عبارة الطبيب حين بصمت له تعهُّدا باستلامهما ورعايتهما بما يتوجب عليَّ

رَحلتُ أحتضنُ فرحتي في رحلةٍ من الخيال نعم !؛الخيال ، فبين الحين والحين أتمعنُ النظر إلى عدنان والطفلين – سعد ـ نورة – أتسآءل : أهو حلمٌ أم حقيقة ؟!

عكفتُ عليهما أربعين يوما أودُّ إخفاءهما في جوف قلبي وأخاف الهواء يخدش سكون نظراتهما الحالمة ورحلةٌ من العناء بين توعكاتٍ قاسيةٍ وارتضاعاتٍ ساخنةٍ ، تسوقني الأقدار رحلةَ العشرين عاما ، أتلذَّذُ أُمومتي المنفية على يد عدنان ..

عدنان يُكرِّر على مسامعي : " أنتِ مجرد جرَّة تحتوي الثمرة ثم تنكسر " وبينما انتقلنا إلى منزل العُمر ؛ الأشبه بقصرٍ صغيرٍ ، انتقلت أُخته الكُبرى وابنة الأخ اليتيمة الأُم – نهى – إلى الطابق العلوي كأننا في ذات الدار .

تقترب شقيقته – نزيهة – من حياتنا بدون رادعٍ أو حدٍّ يُفترض عليها عشرةُ أشهُرٍ من العراك على الطفلين .. ممتلكات العائلة التي لا أنتمي لها و وَجب عليَّ الإرضاع و توابعه وما دون ذلك ليس اختصاصي – الأُم – بدأت أتمردُ على هذا الخنوع الغير مُثمر وقرَّرت الانفصال للعيش بولدَيّ ولو في منزل والدي الفقير هكذا بدأ العداء العاصف يجتاح حياتنا المتأرجحة بين العشق والحقد الشديد وفُوجئت بجنينٍ ينبضُ داخلي

كانت صدمةً صاقعةً كيف ومتى ؟!.. فما خطر لي أنَّ

محُاولةً عابرةً لم تكتمل في ليلةٍ قمريةٍ من ليالي رمضان وفي حالتي النحيلة وإعراضي العنيد أثمرت أعظمَ حدثٍ في حياتي !!.. تراكمت الشُّكوك مدفونة في خلجات عدنان فلم يكن متوقعاً ولا محسوبا ولكنَّ الوقائع تُبرهن طهارتي في زخمِ الاتهامات والمصادفات الظالمة ظهرَ بعد ثلاثة أعوام زواج رجل الماضي و صورة العشقِ الأول " وهيب " كانا صديقين عدا أنهما مرتبطان برابط الدم الوثيق فهذه
صورةٌ لن أتطرق لها في ورقةٍ مُشققة ... تسببت في طلاقي الأول ، استمر الحمل تسعة أشهُرٍ وزادت نصف العاشر ولا أعراض للولادة ولا بوادر للألم .. انسحب الأطباء واحداً تلو الآخر حتى سافرت مضطرّة إلى الدكتور - سمير عباس -
استقبلني بحفاوةٍ وكان يُتابع حالتي لكنه لم يتوقع ولادتي على يديهِ ؛ فقرر إجراء ولادةً من نوعٍ جديدٍ كتجربة شرحها أمام عدد من الطلبة في الجامعة .. فهذه الحالة النادرة فشل الأطباء في مستشفيات الرياض من إنجازها لكنّها تكلَّلت النجاح بعد مُعاناة ليلتين من النزاع مع الحياة في
سرير الموت ..
عدنان ؛ الشاهد المُرتجف خوفا على الأُم والطفل بين فكَيّ القدر ، خرج بمُعجزةٍ من ربِّ السموات على يد الطبيب الجرَّاح - عماد - مساعد - سمير عبَّاس - فمنظر الدماء أرعب الدكتور سمير وقرَّر التنحِّي مُنهزماً تاركاً
الخطوات الأخيرة للدكتور عماد .. أعقبها بجُملة:- سامحيني غامرتُ بحياتك يا صغيرتي -

مَن لهُ مِن العمرِ مُتَّسعٌ ؛لا تأخذهُ شدَّة الموت ! هكذا سكتَ الكلام وعمّ الدفء بقدومِ محمد كالبدرِ في مخملِ الشتاء ..
١٢/٦/١٤١٣ الموافق ٦/١٢/١٩٩٣ كان تاريخا مميَّزا ؛حيثُ أن تاريخ ولادتي بالميلادي ١٢/٦
عدنان ؛ الصورة التي بدأت تتضاءلُ وتبتعدُ في زخم العمل تخرَّجَ وجاء التعيين في مدينة تبوك الواقعة بالشمال الغربي على بُعدِ ٧٠٠ ألف كيلومتر !
انتقلنا أنا ونورة وسعد ومحمد البالغ شهرين والخادمة وطريقٍ تُغطَّى بالثلوجِ الحالمة في رحلةٍ بعيدا عن مُستنقعات القيل والقال ، مرَّت الثمانِ شهور في حُجرتين على سطحِ مبنى من ثلاثة طوابق كل طابق يتكون من أربع شقق على أجمل شارعٍ في مدينة تبوك ! أيـَّامٌ من العجب تعرَّض فيها سعد لأزماتٍ ربويةٍ حادَّةٍ نجا منها بأُعجوبةٍ من كرمِ عظيم النِّعم ربِّ العزَّة والجلال !
وفي قيلولةٍ ساحرةٍ كُنَّا نحتمي البرد في شمسٍ فاتنةٍ نحتسي الذكريات تجترُّ الأُمنيات ...جاء قرار العودة إلى القصرِ الحزين والجمعِ اللعين !! عدنان وأنا وبدأت صورةٌ جديدةٌ في صراعِ الإرثِ المَوقوف !.. وبيَن عثراتِ القدر كان عدنان الفنَّان المُتكفِّل بمعرضٍ سنويٍّ بكمٍّ من اللوحات لمُتكلمة استخدمَ موهبتي وعَلَّمني الرَّسمَ بكل الاتجاهات على أجملِ اللوحات
وكُلَّما مَنحتهُ الوزارة شهادةً من الشُّكر قابلها بهديةٍ ثمينةٍ من ذهبٍ أو من الماس أو ثوبٍ من أشهرِ دور الازياء !!
كان لافتاً حدَّ الإبهار هذا الكرم حتى أصبحت " الهيلانة " مُتناوَل الأنظار ونجمة المناسبات وجميلة الجميلات ، انتهت سنتان من الرضاعة دون طمثٍ ودون مجُامعةٍ ولا حرج فتعودَّتُ الإفصاح في أوراقي بكل الحقائق و كان يشتكي عجزاً وهذا ما راقَ لي

كلما اشتدَّ به الحال إذ أنّي أتضورُ ألما كلما اقتربني ولو بضع دقائق ما بين العام والعامين لتلقيح الجرَّة
إذا ما فرغت وظهر الحمل الثالث أعقابَ رحلةٍ جميلةٍ في ليلة زفاف ابنة الأُخت – ليلى – كانت حُلَّتي الحمراء المُطرَّزة بخيوط القصب ودموع الكرستال تتلون كالشفق ساعة الغروب وأنا على مُستهلِّ العشرين في قمَّة الشباب بتسريحةِ النجمات وقامة الملكات شعرت بدُوارٍ مُؤلمٍ ، انتقلتُ مُسرعةً إلى الدكتور سمير عبَّاس
ونتائج التحاليل تشير حملًا والتصاوير لا تُظهر الجنين ، أمهلني الدكتور أُسبوعين إذا ما ظهر الجنين عليَّ إجراء عملية تنظيف للرحم .. انتابني الرُّعب ويبدو أنه القدر يسوقني إلى مكة للعُمرة وبين ذراعيَّ محمد بلغ السنتين فقط .. وجاءت الثمرة الرابعة – نهلة – إلى الحياة بعد عناء تسعة أشهُرٍ ما بين الموت والحياة توقَّفَ قلبي الصغير ضحيَّة المُثبِّتات والأدوية المُساعدة في ولادةٍ عسيرةٍ نتج عنها تشققات في جدار الرحم وتمزق في عُنقهِ المُتصلِّب و جاءت كالأرنب بوبرةٍ ورديَّةٍ كالغُبار الناعم جفَّ عنها الماء وبدأت تتفتح كالزهرة المُعطّرة تفوح بالجمال !وأصبح لي أربعة أركان أرتكزُ عليها في سقطاتي وضحكاتي وأوجاعي وحياتي وتسلسلت الصورة تلو الصورة حتى جاء اليوم الداكن أنا حامل ؟ .. أنا حامل و نهلة على مشارف السنتين لم أُنهي الرضاعة حتى أبدأ عناء الحمل اجتاحني الألم وصرخت باكيةً :لا .. لا أُريد المزيد أُريد قسطا من الراحة أستردُّ بعض قوتي وأجمعُ بعض لحظاتي الهاربة .. عدنان احتضن ضعفي وبَلسمَ أجراحي وأسعفني بعباراتٍ ضمدَّتني كان يحتويني إذا بدأتُ أنهال في المرض ويُردعني إذا اجتاحني الغضب .. ومرَّت الشهور الأربعة من الحمل والحِمل الثقيل وحانت ليلة زفاف

إحدى المقربات إلى قلبي فقرَّرت حضور المناسبة والمغامرة وارتَديتُ ثوبا من ثلاثِ قطع لم يتجاوز في الطول حدَّ نصف الجسد وأطلقت شَعري مُنسابا يكاد يصل طول الرداء وبينما جلست على طاولة في المقدمة تقدَّمت إليَّ سيدة تتقدَّم لخطبتي أنا ؟!.. غشيتُ من الضحك فأنا حامل بداية الشهر الخامس ولا تظهر علامات الحمل جلياً .. أزعجَ هذا نهى ابنة شقيق عدنان .. وفي صباح الليلة التالية تفاجأت بكميَّة من الدم كبادرة لأعراض ولادةٍ أو شبهِ سَقط فتوجَّهت للدكتور سمير في رحلةٍ عاجلةٍ فتذمَّر لسوء الوضع وصرخ مُنزعجا جدًّا: أنتِ لا تُدركين العواقبَ وتتورطين بحملٍ بكُلِّ استهتار ؟!

كانت دُمُوعي حبيسةً تكاد تنهمر لكن عدنان ...؛الرجل الكريم يقفُ حائلًا بيني وبين الكلام .. استمرَّ النزيف شهرين كاملين من خامس أيام عيد الفطر إلى تاسع أيام

الشهر الفضيل ـ ذي الحجة ـ بيَن حُجرةِ الإنعاش وحُجرةِ الأُكسجين وسريرِ التوليد ومقعد الوجع العنيد وألمٌ يكادُ يحرقني يشتعلُ في لحظات ويخمدُ في ساعات حتى قرَّر الدكتور أنَّ الحالة خارج السيطرة ولا ولادة ولا ثبوت للجنين ولا مجال لقيصريـَّةٍ مع هذا النزيف المُتقطِّع !!

توسَّلتُ عدنان أن يعود بي كي أموت بين أولادي وأكادُ أموتُ شوقا لرُؤيتهم ولو في الثوانِ الأخيرة عُدنا واحتدَّ النزيف بسبب عناء الطريق وصلنا فجر التاسع من ذي

الحجة عام ١٩٩٧ على أعتابِ الحياة في مستشفى أُحد الواقع على حدود المدينة المنورة اجتمعتْ العائلة على مائدة إفطار يومِ الوقفة يُردِّدُون الدعاء وبينهم أبنائي ـ أطفال أكبرهم في السادسة من العمر ! ـ يُناجون كرمَ ربِّي أن يكشف الضُّرَّ عنِّي فكانت دعوةً

مُستجابةً إذ حصل إعجازٌ أبهر الأطباء أن خرج الطفل من فتحةٍ لم تتجاوز الست سنتيمترات .. خرج بكامل الخِلقة يَزن تسعَمائةٍ من الجرامات يتنفس ويمسك إصبع الطبيب ويبكي و يبحث حوله انبهر الطبيب ولكن حرصاً على عدم اكتمال التسعة أشهر قرَّر الاحتفاظ به في جهاز الحاضنة وأجرى لي عملية تنظيف لإزالة المشيمة المتقطعة داخل الرحم ودون أي كميَّة من البنج حرصا على عدمِ تعرُّضي للغيبوبة بسبب انتقاص كمية الدم !!

خرجتُ وعدنان يتسابقُ الزمن في الاعتناء بصحتي لاستعادة كميات الدم ناذرا لله شُكرا أن يتصدَّق بجَمَلٍ يومَ نجاتي !!

عدنان ؛ أصبحَ الوطن والأهل والكَفن .. بينما أبكي حُرقةً حال " يزيد " منعني من زيارته في الحاضنة وفي آخر ليلةٍ تعاطف معي وقرَّر اصطحابي للمشفى وصلتُ مُتلفةً لأحتضن جُثمان طفلي الذي لم احتضنه حيً ولا مرَّة وبدأت أضحك وأبكي ولا أتكلَّم ساعات من الزمن ...لإدراكُ حقيقة الصورة !.. انشرخ في داخلي شيءٌ لا أعرفُ مُسمَّاه و وقفت أتأملُ السماء ...

وأُكرِّر:اللهُمَّ أُجبرني في مُصيبتي وأُخلفني خيرا منها !!

رحلت الأيام ورحلَ يزيد تذكرت رحيل خالد وعمر ومضت سنتان من الخوفِ المؤرِّق كان شبح الموت يتلاعبُ بي وما يزال حتى فوجئت بأعراض حملٍ جديدٍ وصُورةٍ من نوعٍ جديد !!

التحاليل كشفت الحمل ولم تكشف هويَّة الجنين !؛وقرَّرنا أنا وعدنان إخفاء الخبر ولا أعرف الدوافع ؟! و لم يكن في الحسبان إلا أنّي اشتاق الأُمومة من جديدٍ كأنّي لم أُنجب قبلًا .. وفي نهاية الشهر الثالث تزدادُ المُفاجأة هولًا فأنا حامل بطفلين لا واحد ودُون مُنشطاتٍ أو هرمونات كما في الحمل الأول عدا ذلك فقد كان الوضع الصحي والنفسي في أفضل حالاتهِ

أنا وعدنان ...كأننَا لم نُنجب وهذه هى المرَّة الُأولى و اعتزَلتُ العالم في حُجرتي وبدأت العدَّ التنازلي كالعروس تنتظر ليلةَ زفافِها !.. وفي مُنتصف الشهر السادس تفتقت غرزتان من عُنق الرحم وتقلَّص الرحم في حالةٍ عجيبةٍ رافضا الجنينين وقرَّر الطبيب باعتبارها حالة طارئة لا بد من إفراغ الرحم تداركا لاحتمال إنفجارٍ عارضٍ ، أُصبتُ بهستيريا الُأمومة و ما أدراك ما هستيريا الُأمومة !.. أقسمتُ أن لا أتخلى عنهما وإمّا حياةً وإمّا مماةً بهما !.. ومرَّ أُسبوع يتبعه أُسبوع أتحصّن بماء الزمزم حتى انتهت المُدَّة ودخلت غُرفة العمليات بين موتٍ وحياة وخرجت للحياة أجمل طفلتين " تالة ـ وتيا "

عدنان ؛ اختَلجَ شعور الرَّجُل بيَن عاشقٍ مجنون؛وحاقدٍ مضغون و تبدَّل الحال وتحوّل الحب دون سابِق إنذار إلى عداءٍ غيرَ مُبرَّرٍ لم يشغلني كثيرا هذا الانقلاب العسكري وشَغلتُ نفسي بالطفلَتين لا أُبصِر غيرَ بريقِ الجمال في طفولةٍ مثل الخيال و أودُّ الكونَ يطوي الأرض والأيام لا أرى ولا أسمعُ إلّا " تالتي و تيّتي " حتى أفَقتُ ذات يومٍ على عدنان يتلفت حولهُ كأنّه اللص في قبضةِ المسروق !.. وبدا مُرتبكاً لم أستوعب الصورة وتجاهلت الأسباب ، ولكن بدأ يتضحُ المختبأ وغياب عن المنزل لليلتين و سفر للخارج ورائحة السجائر المزعجة ومع ذاك وذاك لم يستهويني الأمر فشاغلي الوحيد أولادي الستة وزحمة الاشتغالات اليوميَّة ومجُاراة الأحداث في منزل أبي المُنهَمك بمُشكلات الفقر والاغتراب وقُبَيل إتمام تالة وتيا السنة فوجئتُ بالشاي الساخن يُصبُّ فوقَ جسدي وكأسًا زُجاجيًا يتحطَّم على قدمَيَّ ليس الأهم !؛

المفاجأة ...لماذا ؟! لماذا يتصرَّف عدنان بوحشيَّةٍ من دون حوار ؟! غادرتُ كالهاربة إلى منزل أبي ...نزدحمُ أنا وأولادي الستة

وفي يومين استطاع أخذ الأربعة وترك لي تالة وتيا رضيعتان لم تبلغان السنة الأُولى وانكشف لي على غفلةٍ من نظرات الخادمة أنَّ لها يدٌ خفيّةً بتشويهِ الصورة
قرَّر عدنان استدراجي للعودة بطريقةٍ مجنونة فسرق تالة وأسرع نحو السلالم يتراجع خطوةً مُتخيلًا أنّي أنا أو والدي سنُسرع خلفه نتنازع على الطفلة !!
لم يكُن مُدركا أنه يسرق ابنتهُ !.. وسرعان ما أعادهُ بكاؤها العنيف !!.. وخرج بعد فصلٍ سخيف بمُحاولةٍ لإقناع الجميع أنهُ سينتحر وارتجف قلبي لحظات لكنَّ الذهول أفقدني التعليق أو الاهتمام !!.. جاء في اليوم التالي برفقة شقيقته " سلوى " كي أعود إلى منزلي وأولادي الأربعة و ليتني ما عُدت وبدأت تتعاقَبُ الأحداث ، الضرب المُبرح الجُمل المُهينة المُعاملة المريضة دون مُبرر !!.. أنا في انغماسٍ شديدٍ مع تالة و تيا وصورةٌ حجبت كل ملامح الصُّور الباهتة !!
إلى أن قررتُ فِطام الطفلتين وهذا الحليب في نهدين بحجم ثمرة التفاح يغدقان كالنَّهر يُغرقان الجسد و يتصلبان دون جدوى أن يجف الحليب وصابتني الحُمَّى وقرَّرت زيارة طبيبٍ بالقرب منَّا فقال:عاطفة الأُمومة الطاغية رفعت هرمونات الحليب ولا بُدَّ من تجفيفه بحبوبٍ لهذا وكتب الدواء وفي أول جُرعة بدأ جسدي ينتفض ألماً ومعدتي تتقطَّع فخفَّف لي الجُرعة وضعت الدواء في حقيبتي بعيدا عن متناول الجميع لخطورتهِ على نبضات القلب !!
وفُوجئت بطفلتي – تيا – تترنَّح أمام عينيّ فأسرعت فإذا بحبوب الدواء منثورةٌ على الأرض وبعضها التهمته صغيرتي فأسرعت أبحث عن عدنان دون جدوى وبين ذراعيّ الطفلة تتهاوى أُحاول إفراغ معدتها ؛ حتى أسعفني أبي وتداركناها بغسيل المعدة في

أقرب مشفى للمنزل !.. ما كان سيحدث إذا لم يكن أبي بالجوار ؟!.. رأيت ابنتي تغيبُ عن الصورة وأنا مشلولة الإرادة لا أمتلك غير – يا رب – وما خذلني يوما إلى اليوم !.. وتدور عجلة الأيام وتتصاعدُ النيران في فوهة البركان – عدنان –
ويتحول القصر الصغير إلى جهنمٍ كبيرٍ وأكتشف في صخب الأحداث أني حامل و كيف ومتى ؟!.. أكاد لا أتذكر أن عدنان اقترِبني كزوج لكنّه القدر كتب لي الحمل السادس ربما لتعود مُسبِّبات الحياة إلى الجثمان الميِّت في صورة زوجين !!
وتعاقبت الأحداث تُكرِّر نفسها بطفلين يكتمل الأول – مَعْن –
ويسقط الثاني قبل الشهر الرابع وتـمَّت التسعة أشهر في صراعٍ عنيفٍ حجبني عن الناس و حصرني في رعاية الستة ولو عن بُعدٍ بعض الأيام !.. فكانت – ميادة ـ الأخت السَّند والبيتُ العَتد ـ تحمَّلت أعباء الطفلتين واعتنت بالأربعة بأُمومةٍ توازي أُمومتي و تزيد حتى بلغ معن العام الأول وبدأتُ أتأقلم على أجواء الحرب المحليَّة والمشادات المُفاجئة وانقضت الصورة تلوَ صورة وفي ساعات قُبيل الفجر رفعت يديّ للسماء أدعو ربِّي
أن يُكافئ ميادة بزوجٍ يحتضنها ..
عدنان ؛ ليلة زفافِ – ميّادة – فرَش القاعة بورودِ الروزِ الأحمر ـ أقلّ تعبيرٍ عن ردِّ الجمِيل ـ أثارَ غيرةَ الجميع هذا الجزَل في العطاء ما تساءل أحدهم: ماذا قدَّمت هي لتأخذ هذه الورود ؟!
اقتربت ميَّادة من اهتمام خاص من عدنان ذالك أنها زوجة ابن أُختهِ المحُبَّبة – عائشة – وفي ليلةِ ولادتها اختلَّت الموازين وبدأ ينقلبُ الحال ولا أجد تفسيرا إلى اليوم عمَّا حدث غير أني تركتُ المنزل بضعة أيامٍ عَقبَ نزاعٍ أغرب من كل النزاعات بيننا على – حذاء نورة – ولا أجد حَبكةً تُلاءم الصورة المُحرجة لوصفِها غير

أن حذاءها انكسر في قاعة المناسبة فوقع اللوم عليَّ بعباراتٍ جارحةٍ فاقت احتمالي !!
قرَّرت الرحيل دون عودة ولكنَّ قسوة أبي أرغمتني العودة .. وعودةٌ عاقبتها أسوأ مما تخيّلت !!
عودتي إلى عدنان هذه المرة اختلفت أكثر مما يحتمل استيعابي للواقع و يزداد عُنفا إلى حدّ محاولات للتشويه الغير مقصودة يسترسل باستخدام عبارات الطلاق المشتَرط .. و خرجَ عن المألوف وبدأ بحصارٍ غريبٍ كلما ازدادَ تحَلّي الضرب كلما زادَ الحقد ، حاصرني بمَن أُحب ممنوع الكلام ومُحرَّمٌ على شقيقتكِ ميّادة و ممنوع ذِكر اسم شقيقك هاني و ممنوع مصافحة ميّادة .. أنتِ طالق إذا صافحتي أحدهما .. ممنوع الانفراد بأولادي كأنهم أولادهُ لا أولادي و ممنوع إعداد الطعام .. ممنوع شراء الحلوى وهذا الممنوع يزداد يوما بعدَ يوم وتتوالى الطلقات و اختناقٌ تُخفِّفهُ رحمةُ ربِّ العالمين بفرصةٍ ذهبيةٍ لإتمام دراساتي
التحقتُ بالدبلوم العالي لجامعة أُم القُرى ـ قسم إدارة أعمال ، دعوة وإعلام ـ .
أسقط القدر عدنان في زلةٍ بلسانهِ يومَ قال ؛ أُراهنكُ بعدم النجاح ، وقد مضت خمسة أسابيع على بدء الدراسة ، فأين لك القدرة على تحصيل ما يزيد عن ٩٥٪ ؟!
لكِ إتمام الدراسة وقبلتُ الرهان وكافحتُ شغفا وحُبًّا للعلم ، ورغم الاضطهادات والتحيُّزات الظالمة حصلت على المرتبة الأُولى بتقديرٍ ممتازٍ عالٍ ٩٨ ٪ ؛تعرَّضت خلالها لوعكةٍ مخُيفةٍ برهنت لي أنَّ ثمني ليس زهيدا في حصيلة عدنان .. انقشع الخوف وبادر بصدقاتٍ باهظةٍ وباقاتٍ من الورود الساحرة ...؛ كأنه العاشق المُتولِّع ؟!

استقامت الأُمور بعض الشيء ولكن انتهى الفصل الدراسي الأخير و حان حفل التكريم ولا بدّ أن أكون أنا الأُولى على دُفعتي ... وممنوعٌ عليَّ الحضور فالتزمت الصمت وبادرت بشراء " هاتف نقَّال " بعيدا عن عدنان !.. وبدأت أغتَر بدرجاتي وأتصرَّفُ بعنجهيَّةٍ وعناد أتحدَّى جبروت عدنان و قرَّرتُ التمرُّد و هدم المعبد مهما كانت النتائج !! كما العادة يُفترض بعدنان الضرب لكنّه لم يضربني وطردني شبه عارية وألقى بي كمُخلَّفاتٍ فاسدةٍ خرجتُ أتقنَّع الغرور وألتزم الصمت .. أرتمي في أحضان المجهول !!.. مضت ثلاثة أشهرٍ كاملةٍ لم تنقص ساعةً واحدة !؛حاولتُ الانفصال بالقوةِ الجبرية دون جدوى .. حاولت استغلال المنحة الدراسية في جامعة أُم القُرى ورفض والدي بحُجَّة الإقامة خارج المدينة المنورة .. سجَّلت في جامعة طيبة ودفعت القسطين من مبلغٍ احتكمهُ في حوزتي وثمن القُلادة التي تحصَّلت عليها !! وذات يوم تعرضت لنزفٍ في المعدة شخَّصه الطبيب ... محاولة انتحار ؟!
التشخيص خدَم حالتي النفسية وأفقدني ثقة الجميع ومنحني تعاطفهم ! بدأ عدنان يستغل وعكة – سعد – الغامضة لاستعادتي و أنهكَ غيابي أبناءي السبعة ، رأيتهم يموتون أحياءً بعيدًا عنّي شعرتُ أنّي أحقرُ أُمٍّ في هذا الوجود فكيف أُفاوض وبين يدَيَّ ثروةٌ لا تعادلها كل الحياة ؟!
كيف أمحو هذهِ الزَّلَّة ؟!.. كيف أصفحُ عن ذنوبي في أطفالي ؟! عُدتُ دون اشتراط و تجاهلتُ كل مفردات الحياة لا كرامة ، لا جسد و لا أحد ؛أولادي و لا غيرهم سند .. عدنان ؛ .. الصفحة الاخيرة !!عودتي عام ٢٠٠٧ إلى ٢٠١١
هذه رحلة العذاب الجميلة !

نعم !
رغم مُعاناتها لكنَّ نكهة الأُمومة طغت على كل المرار ابتدعَ عدنان من الضربِ صورةً خلَّدت ملامحها كل الصفحات فقدتُ الإبصار في العين اليُمنى و تعرَّضت لجُنونٍ عارض ثمانية أيام وأنا في غيبوبةٍ بين موتٍ وحياةٍ إثر رضوضٍ في الرأس و الجبهة ، محاولات للحرق بالنار والماء الساخن و محاولة قتل زرعت صورة الموت شبحا في مخدتي نزعٌ عنيف لجُزء من فروة الرأس علامات السكين على الساقين .. وأكثر !!
هذه علاماتٌ ملموسةٌ الزمن كفيلٌ بإخمادها !!...؛لكن الطرد في مُستهل الفجر والنومِ على عتبةِ الباب والحبس أربعة أيام في حجرتي الحنونة والتجويع و التحقير علنا أمام الزائرين .. كُلّ ذلك صنع " الهيلانة " الجبل الشامخ والصخرة المُتماسكة .. غير أن بعض الصور الدامية ما زالت تنزف داخلي ..
صورة الأب يضع سكِّينًا حادَّةً على رقبةِ – معن – ممُدَّداً أمامي ، يُراودني بهِ للبقاء دون خروج ، هل أخرج يوما بعد هذه الصورة ؟!.. صورة الأب يُمسك ابنتهُ – نهلة – وذنبُها الوحيد هو الشجار مع ابنة عمٍّ لها بجُملةٍ عابرةٍ مُفادها: أنا لا أُحبّكِ ! .. فيضعُ في ثغرها العصى الخشب محُاولًا وضعها في رقبتها ثم لا أدري إلى أين ؟!.. صورة الأب يرمي ابنهُ الشاب – محمد – في فناء المنزل ثلاثة أيام دون زاد أو غطاء في أشد أيام الشتاء !!... يفصلنا عنه شباكٌ حقير .. هل أسترسل الصور ؟! ...هل أحتمل ؟! سافر سعد إلى أمريكا .
وتزوجت نورة وليلة زفافها كنت أشتهي لو أنّي ألعبُ دور الأُم ولو لحظات !!

تـجرَّدت الـحياة من كل الصور كي تلتقط أنفاسها الأخيرة في أبشع صورة !!...
عدنان وأنا ومسرح الجريمة !!
ليلةٌ كاحِلةٌ حالِكةٌ طرَّزت أدمى صورة مشهدٌ أرعَبَ القَصر و اهتزَّت الجُدران وتصَدَّع السقف وانشقَّت الأرضُ تنوحُ بحميمٍ يغلي رائحةَ الرماد عكَّرت كل الصور !!
تحتضرُ كل السنون في صورة الأبِّ المجنون !محُاولًا وضع حبلِ الموت على عُنق محمد – لماذا محمد – لأنه الأجمل ، لأنه الأكمل في عيون الهيلانة .. لأنه حبيب قلبها وإذ عجِز عن كَسرها فلا بـُدّ أنَّ تفتيتَ كيانها وبَترها عن الوجود سيحدث يومَ ينتهي " محمدها " خلف أسوار الحدود !!
أتت نورة بجملتها : أفيقي وانظري ماذا فعل ابنُك بالخادمة ؟!
لم تكد تغفل عيني دقيقةً واحدةً بعد خروج محمد و إخوتهِ إلى المدرسة مسرعا على غير المُعتاد لأنَّ اختبار – اللغة العربية – الحصة الاولى !! أسرعت إلى الخادمة ؛ ودار بيننا التالي:
ـ ماذا حدث ؟!
قالت : محمد اعتدى عليَّ وأنا أنزفُ بغزارة !!
ـ متى وأين ؟!
ـ في الأسفل في صالة التلفاز قُبَيل خروجه للمدرسة !
ـ ولماذا لم تصرخي علما أنّي مُستيقظة .. وأين ملابس محمد المتلوثة ؟!
وأين الملابس التي اعتدى عليك بها ؟!.. لا يوجد أثر للدماء على ملابس محمد البيضاء الطاهرة ؛ ولا يوجد ما يَدلُّ على الاعتداء العنيف على جسدك أو ملابسك ؟!.. و لم أسمع أيّ ضجيج

والصالة ليس لها باب وتقابلها أبواب الحمَّامات والمطبخ وحُجرة المكتب المُلاصقة للصالة القابع داخلها

عدنان من البارحة ؟!

هل تُعقل الدراما الفاحشة التي تنسجيها ؟!

سقطت على قدمِي تتوسلني العفو وتكاد تُقبِّل قدميَّ أسعفيني أخشى الموت هنا غريبةً عن أهلي وأولادي ـ مع العلم أنها أُم لأربعة أطفال ـ .

كان المحتوم نقلها للمشفى كحالةٍ طارئةٍ لإيقاف النزيف !!

ما إن عَلم عدنان القصَّة حتى أطلقَ ضحكاتٍ ساخرة بكل شماته يقول : الحمدلله أخيرا سيذهب محمد إلى الجحيم ان ترحمه الحكومة وسأُسجلها حادثة اغتصاب بمساعدة الخادمة !!

أذهلتني الجُمل ولكنَّ ثقتي بأنَّ الطب الشرعي يكشِف الحقيقة في غضون دقائق وأنَّ التحقيق حتما سيُظهر المتخبئ داخل الصورة .. رفعتُ عيني للسماء أتامل قدرة القدر ورحمة الإله في صورة البشَر !! ذهبت الخادمة للمشفى وتحولَّت للجنايات حضر المحُقِّق تمَّ استدعاء محمد من الثانوية ـ السنة الثانية ثانوي علمي ـ؛جاء يضحكُ مُتعجِّباً أُمي أُمي ما هذا الهراء ؟!

لم يكن مُدركاً حجم الاتهام وأسرع للشرطة يستطلع الأمر ولم يخرج !!.. طالبهم بالكشف ـ الطب الشرعي ـ ورفض الضابط ولا أعي لماذا ؟!.. إذ أنه لم تنقض الأربع والعشرون ساعة فحتما يكشف الطب إذا ما كان وقع الإنزال أو لم يقع !!

احتجزوه في " الاصلاحية " لعدم بلوغه الثامنة عشر وضعوه في حُجرةٍ مُظلمةٍ مساحتها مترًا ومتر ونصف دون نافذة لمُدَّة خمس أيام .. وإلى هذه الساعة لم ندرك السبب لهذا الحبس الانفرادي ؟!

أما الخادمة فقد أظهر الكشف أنها تعرَّضت لتهتُّك في المهبل دون أي أعراض أُخرى كالرُّضوض ونحوها !!
استمر التحقيق سبعة أشهر ، خرج محمد في الأسبوع الثاني منها ، أمّا الخادمة فلا أحد يعرف لها طريقا إلى اليوم !!
كان يحترق قلبي في كل جلسةٍ رغم يقيني ببراءة محمد .. وبينما أستعدُّ للتحقيق كفردٍ مُقيمٍ في المنزل دار حوارٌ ساخنٌ بيني وبين المحُقِّق – علي – كلما أوشكت الكلام يرمقني عدنان بنظراتهِ الحاقدة ويتوعدني إذا ما التزمت الصمت لكن براءة محمد لن تقتصر على شهادتي كما قال المحقق لأنّي الأُم والغالب المحتمل أنّي أكذب لصالح ولدي !؛لكنَّ جُملةً أشعلت الحاضرين وبادر على إثرِها المحُقِّق لإعادة التحقيق !! أليست تُهمةً محبوكةً للزج بمحمد ؟!.. أعقبها صمتٌ مخُيفٌ وما أعظم عدالة الله وهو أحكم الحاكمين ! صدر الحكم ببراءة محمد وإدانة الخادمة مدى الحياة !.. ها هو عدنان يُحاول عبثاً تلطيخ طهارة محمد ولصقِ التهم الفاشلة عليهِ !
تنطوي الصورة ؛ لتخرج منها ألف صورة !!
عاد سعد يحمل رُخصتين للطيران المدني يتباهي به الأب، ويشتري له مركبةً بمئة وخمسين ألف ريال عدا الألوف المُباحة لجيبهِ مُقابل شُحٍّ على محمد وتضييقٍ عنيف ولم يكن مباليا لهذا محمد؛فتعوَّد هذه السياسة منذ طفولته إلى ليلةِ خسوف القمر عقبَ ولادةِ نورة لِعُمر !!.. بدأت الصُّورة تتحطَّم وتسقط ملامحُها !!...
دخل سعد و محمد يترنحان قُبيل الفجر و استقبلهما عدنان بملامح مشوَّهةٍ لا وجود لها و انفجر محمد بالبكاء يردد جُملةً صاقعةً : لماذا يا أبي .. لما لا تصلي سنموت ؟!.. الله يحبنا لما لا نصلي جميعاً ؟!.. لما لا ترحمون أُمِّي و لماذا أنت تُدمرنا ؟ ..

أرجوك ارحمنا و يكفي ظُلماً !.. أسعف أخي سعد قبل أن يضيع !!.. أنا أعي ما وراء هذه العبارات وعدنان يعي أنّي أعي الحقيقة كاملة ! لكن الجُدران لا تعي ما يقول !!
نظر إلى وجهي عدنان وكأنه يراني أول مرَّة منذُ عشرين عاماً وطلب منِّي مغادرة المنزل ولكن هذه المرة دون ضربي وكان جاداً غير كل مرّة !.. أيقنت أنها النهاية !!... والبداية لصورةٍ تالية !
طلبت مُهلةً من الزمن أتجهَّزُ بها فلا أستوعب إلى أين أرحل وكيف ؟!.. توسلتهُ ورقةً تثبت هُوَيتي فرفض ، فخرجت لا أمتلك شيئاً غير أوجاعي والمرار !.. ولم نلتق أنا وعدنان إلّا بعد ثلاثة أشهر في قاعة المحكمة لإثبات وقوع الطلقات الأربع التي أنكرها .. بدت الحقيقة جليَّةً للقاضي وأصدر حُكمًا بالطلاق دُون رجعةٍ في الجلسة الثالثة بعد إحضار عدنان بالقوة الجبرية من محل العمل !
دخل عدنان القاعة مُتجمهرا بعباراتٍ غير مبررة يكرر على مسمع الحضور: هي زوجتي ولم ولن أُطلقها وجامعتها قبل خروجها من منزلي بساعات لم أُدرك لماذا يلقي التهم الكاذبة ؟!
سالني القاضي: وقع بينكم ؟!.. أجبتُ:لا لم يقع من عام ٢٠٠٧ وإن وقع فعلى الطبيب إثبات ذلك ، وصدر الحُكم بثبوت الطلقات أربعة لا ثلاثة وخرج عدنان مُنَكّس الرأس !.. ولم أر حتى ظِلَّهُ إلى يومِ وفاتهِ مسموما عام ٢٠١٤ في ١٩ يناير انتقلَ إلى رحمةِ الله ... تاركا – تالة وتيا ومعن – يجهشون بالبكاء لا يستوعبون معنى الوفاة فأسرعتُ إلى المنزل حيث قضيت عُمري فيهِ وأنا أثق أن هذه الصورة كانت تتراودُ على ورقاتي كلما نظرتُ للأمام !!.. مات عدنان ولا أزال أحتفظ الصورة على جُدران حُجرتي التي ألصَقتُ عليها كل الماضي والحاضر !!...ماتَ وعاشَ داخلي الحنين للرحيل !!

.....

الأبناء السبعة
نـورة

الصُّورة الأجمل فـي حيـاتـي
أشرقت كالبسمة الطاهرة على شِفاهٍ صامتةٍ و حضرت للحياةِ وهى كُلُّ الحياة .. سمراءُ فـي وجنـة بـدرٍ وغزالٌ من زمن الوردِ اسمها – نـُورة –
لكنَّها أعظمُ أُسطُـورة ، كَـبِـرَت وكأنَّـهـا لم تَكُ طفلة ، لا عاشت بين الأطفال ولا حاكت قصص الأبطال !
تتفانى بصلاتها والقُـرآن واجتهدت فـى زَخَـمِ النسيان حتى بلغت نصف فتـاة !.. كانت مسلوبة الإرادة كالدُّمية بعيدا مصلوبة فالتزمت طاولة الأوراق و رسمت دربـا فـوق الأشـواك وتحدَّت جُملة عدنان – لن تلتحقي مدرسةً مهما كان –
كُنتُ أُداعبها بعباراتي : "يـا ظبيتي ستصلين المجدَ وتتصدَّرِي فـي أعلى مكان " حتى أيقنتُ بداخلها تلميذةً منهجها الإيمان !
دخلت مرحلة الجامعة وتقدَّم لِخطبتها خالـد و كانت دوَّامة عدنان تدفعها لزواجٍ خسرانٍ ضَحَّت علَّها تخرُجُ وتمُدُّ يديها لتـُخرجنا من موتٍ طاغٍ كالطُّوفان !!
ارتطمت بحقيقة خالد بعد فوات أوان من شدٍّ أو جزرٍ سقطت تتوسَّلُ فرج الرَّحمن ، وفـي ليلةٍ حملت والقيدُ الابـْنُ أشدّ قُـيُـود الأزمـان !.. نـحُلت نـُورة حـتـى شحُبَت وطلاقي أفقدها الأملَ برُجُوع الحُلم لدى عدنان !
كانت أُمِّي وأهلي والغيمة تـُمطـرُ تغسلني كُلَّما جفَّت أطرافـي فـي الهِجـران !

أتذكَّرُ صُورتها نتسامرُ سِـرَّاً نحتسي شاي وحلوى ونتساءلُ بعُيُونٍ باكيةً أنهارًا .. أو ليلاتٍ باردةٍ مـرَّت فوق دفاترنا مسحت كلمات الأحزان ! لم تترُك لي فُـرصـةً لأتذوَّق طعم الحـرمـان !
غمرتني كرمـا لا يُقضى أنـا عُمـري لفتاتي مُـدَان !
إن سألُونـي عـن حالها يـوما" أتعسها الحظُّ " ولم يبرح من رُوحها يوما تستمتعُ فيه كما إنسان ..

.....

سعـد

البِكْـرُ والابن الأكبرُ شِقُّ التوأم مع نـورة ونقيضـها !
صُورةٌ أثقلتني فـي دوَّامات الحياة !
قطعةٌ منِّـي تُقطِّعُني بين لحظات الكلمات !
خرج للحياة هزيلًا يُكافحُ الموت كُلَّ ليلةٍ بين أزمةٍ ربويـَّةٍ أو ارتفاع نسبة اصفرار الدَّم حتى بلغ الشهر الرَّابع وقـرَّرنـا إجراء الطهور فـي أجواءٍ من القلق !.. تَمَّ ولكن !... بدأ يتحوَّلُ عنِّـي ورفض الرضاعة الطبيعيَّة وكان يرتفع صوتُ بُكاءِهِ بطريقةٍ لافتةٍ إذا حاولتُ الاعتناء بـهِ !.. أذهلني هذا الطفلُ لكنَّ انشغالي بِـنُـورة وطُفولتها الأجمل أخمد حيرتي فـي رأس الأُمِّ الطفلة !
مـرَّت السَّنواتُ وكأنَّ صُورة سعد ضائعة دُون ملامح بعيدًا عنِّـي يكبُرُ ويكبُرُ مُنغمسا بأبيهِ والعَمَّةِ العانس – نـزيهـةً – كان ميَّـالًا لها ولم أُبالِ رغم الفاقات المُهلكة لبناء الابن الأكبـر !
ذكاءُ اخترق سنوات العُمُرِ وَتَسَابَقَ الزَّمن !
ذكاءُ ملغُومٌ بالشَّـرِّ فـي ثمـرةٍ خَـيِّـرَةٍ !
كان مُزعجاً شرسًا حادّ الطبع مُشاكسًا يتعرَّضُ للعقابِ مرَّاتٍ ومرَّاتٍ وينتهي بمُكافأةٍ باهظة الثمن !

سعد ابنُ السابعة :
يذهبُ قُبَيْلَ الفجرِ في ظُلمة المكانِ يشتري الحليبَ لأبيهِ !
ويقفُ أمام محلِّ المكوى يستلمُ ثوب أبيهِ الثالثة عصراً والدُّمُوع تغسل وجنتيه !...السَّاعة الفاصلة بين إغلاق الباب وافتقاد عدنان للثوبِ المُتأخِّر !
سعد !.. أكاد لا أحتويك أُمَّاً أعجزتني بشُرُودك خلف ظلِّ أبيك البعيد ! كُلَّما أصدر عدنان قرارا بطردي فعلى سعد تنفيذ الطرد وإلَّا يُطْرَدُ ضعف العدد !
كان طفلًا في الثالثة عشر . مُكْرَهَا على سحبي للبابِ وإغلاقه عُنْوَةً ثم يخنبيءُ في مخدَّتهِ باكيا خائفا من عقابِ الأبِ الرَّمْزِ الوحيد للبقاء !.. سعد ابنُ الثامنة عشر يُغادرُ بحُجَّةِ الدراسة بعيدا إلى رحلةِ الحُرِيَّةِ ليتعلَّمَ الطيرانَ المدنيَّ في معهد ميامي للطيران بأمريكا !.. وعناءُ الاغترابِ وضياعُ الحصيلة من منهج أبناءِ المدينة أنصار الرَّسُول ـ عليه الصلاة والسلام ـ !
عاد نحيلًا مريضًا بعد العامين يحمل ثلاثة رُخَصٍ للطيرانِ آهلةً للبدءِ بالعملِ . لكنَّهُ لم يُفلح ولم يلتحق شركة طيرانٍ حتى هذا العام ! انجرف في دوَّامة الضياع !
وبدأ بطريقةٍ فاضحةٍ يتدهور للحضيض وانحدر في كُلِّ دناسات الضعف ! هل تعود يا سعد ؟!.. كأنَّ الأيَّامَ تُقايض الطفل في الرَّجُلِ ، طردهُ والدُهُ فلجأ إلى العمِّ وابنِ العمِّ ..الشيطان المُتكلِّم بلسان ملاك !.. استدرجُوهُ حتى أدمنهم ولكن ؟!...أين أنا ؟! حان الأوانُ لانتشلَ ابني من أيديهم !
أُرْغِمْتُ الرُّضُوخَ لعنجهيَّةِ أبي فاستعنت بالدُّعاء ليل نهار !...أن يُعِيدَ لي سعد قضى في حُجْرتي شهرين كاملين لم نفترق يوماً !..في عِرَاكٍ حَادٍّ ومُعاناة الفقر الشديد !

استعاد بعضهُ ...والتحق بعملٍ شـاَقٍّ مُـوَاجِهٍ للمسجد النبـويِّ الشريف !.. كأنَّ القدر يسُوقهُ لطريق الهداية !
ولكنَّ العَمَّةَ لم يَرُق لها الحالُ !... بِحُجَّةِ أنَّ أباهُ أحقّ بِهِ !
غادرني محسُورةً عليهِ وصُورتُهُ ترتسمُ أمامي بسوادها الحالك !
سعـد : لولا أجواء الشتاتِ فـي قصر أبيهِ المُتَلَوِّنِ بكُلِّ مُغريات الفُجُور لَمَا تورَّطَ فـي مسارِ الشَّرّ فالأبُ العاكفُ فـي حُجرته المُظلمة زرع فـي جُمْجُمَةِ سعد مُنْذُ الطُّفُولة أنَّ نباتُ الأرضِ لا حُرمانيَّة فـيه ، ابتعد سعد عاما كاملا لم أكَد أرهُ بضع ساعاتٍ ! حتى تُوفِّـىَ الأبُ مُصادفـةً بـعـد التـحاق سعد بالمعـهد الـعـسكريِّ للطيران فـي القسيم . وبمُعجزةٍ من كرم الله تـمَّ قبُولهُ !
ولا يزالُ يُكافحُ الدَّرْبَ علَّهُ يحتفظ بواقي سعد !
الابنُ البكرُ !... والرَّجُلُ التائبُ إلى الله !
لكن ؟!... هل تلطَّخت يدُكَ يا سعد فـي مصيرٍ محتُوم ؟!

.....

.....

نهلـة

الصُّورةُ التي تجتمع عليها فُصُولـي الأربعة !
طفلتـي الشقراء السمراء التي لم تكبُر و
الأُمُّ فـي طفلةٍ والطفلةُ فـي أُمٍّ !
شرسةٌ فـي مُقاومتها الألم تحدَّت أعنف أزماتها الربويـَّةِ ولا تخافُ الخطر ، ألقت بجسدها فـي مِسبحٍ عميقٍ و غافلت الجميعَ مُتمرِّدةً على الماء !.. ولم تستغث حتى أدركتها صُدفةً – هناء – وهى تُلَوِّحُ بأطراف كَفِّهَا تحت الماء وأخرجتها بالكاد تتحرَّك يومها أيقنتُ أنَّ لها عُمُرٌ جديد !

عنيدةٌ لا تهابُ الموت و تُحاربُ فـي سريرها ليلات الوجع و لا تهدأُ .. تتدبَّرُ الأُمُور لا تقفُ عاجزةً فتتسحَّبُ بِخِفَّةِ الهواء تسرق مفاتيح المنزل و تخرج للعبِ وتُغلق الباب من خارجٍ لتضمن عودتها بالمفتاح المسرُوق .. حالمةٌ تُسيطرُ فـي كبيراتها سنَّـاً مُمثـِّلةٌ بارعةٌ تُداعبُ الحياةَ وتتصيَّدُ أسبابا للسعادةِ لتضعها على وجنات الجميع ! صغيرتي كبُرَت نضجت كالزهرة فـي ورقات الرَّبيع ! تبتعدُ عنـِّي وتقتربُ مع دوَّامات الزمان والمكان تحمَّلت بجبرُوتها الرقيق مُعاناتنا وتجرَّعت مرار الظُّلم من أبيها مرَّات ومرَّات .. وقابلته بسخاء الحُبِّ ونهلٍ من الحنان ، كانت ضحيَّة القسوة المجنونة فـي حـالةِ الأبِ المُطَّرِبَةِ تحت تأثيـر الشَّكِّ والشَّبَهِ المكين بينها وبين صُورة الأُم !
إنَّـها أقدارُ جعلتها تتحمَّلُ أعباء انفصال والديها وهى فـي نشوة براءتها ! أسعفها القدرُ يوم تقدَّم لخطبتها ابنُ عمَّتها وفـي غُضُونِ شُهُورٍ انتقلت إلى عُشِّ الزوجيَّـة كافأها اللهُ بأبٍ وأُمٍّ أكرم من والديها عليها !
صغيرتـي !... لا تتحمَّلُ انتظار طفلها الأوَّلِ – حمـزة – تعرَّضت لأعراضٍ غامضةٍ فظهر مع الجنين كيسٌ بحجم الطفلِ شخَّصهُ الطبيب ورمٌ والغالبُ حميد !
بدأتُ أتهالكُ فـي صمتي فوالدي حرمني رُؤيتها عرُوساً بثوبها الأبيض ! وشوقـي لاحتضانها يشتعل كالنارِ تأكُلُ بقايا رغبتي بالصُّمُود قـرَّرتُ بجبرُوت أُمُومتي أن أتحدَّى المصير و ختمتُ القُرآنَ كاملًا على كميَّةٍ من الماءِ وبعثتُها إلى نهلتي ، وسُبحان من يهبُ الحياة ! تلاشى الكيس و اختفى وتمَّمَ اللهُ عليها الحمل ، وجاءها مولُودها الجميل – حمـزة – لم يبلُغ العام حتى تُوفِّىَ والدُ زوجها الأبُ الحنـُون والسَّنَـدُ العَطُوف !

تماسكت – نهلتي – بفرحتها بحملٍ جديدٍ وفـي شُـهُورهـا الأخيـرة انهارت بصدمةِ وفاة والدها عدنان !
فقدت رغبتها فـي الحياة ولكنَّ قُدُوم مولُودتها الفاتنة " فاطمـة " استعاد بعض فرحتها وطيَّبَ خاطرها !
صغيرتـي أُمُومتها الطاغيةُ غمرت الصُّورةُ جمالًا فاق كُلَّ المُفردات !

.....

محمـد

محمد ؛ أرهقتني هذه الصورة و بدَّلت كل ملامحي !
يوم جاء للحياةِ في صورة البدرِ ليلِ التمام و لو أصفُ الضوء في وجههِ لاستنفذتُ كل الكلام !!
الابن البار و حَصيلةُ الثـِّمار ؛ محمد طفولةٌ شاردةٌ في صورةٍ صامتهٍ غامضةٍ عليها ملامحُ الخوفِ
والضعف ! مُتعلِّقٌ بالأبِّ الجَبروت والأُمِّ التمثال المنحوت !
بالكادِ يتكلم وإذا تكلَّم فجُملتهُ تعلَقُ كالأجراسِ في كنائسٍ بعيدةٍ ! نجى من الموت مراتٍ عديدة أعظمها ـ وكلها تتجلى فيها عظمة الخالق إذا أكرمَ الأُم في أثمن أبناءها ـ:
فـي زحمةِ الليلةِ الباردة عام ١٩٩٥ كان الجميع يحتفلون في منزل العمَّة في الجوار وألحَّ عدنان حضور محمد صاحب العامين من العمر دُون رُفقتي !
كُنتُ حديثة الوضع فـي ولادة – نهلة – التي لم تبلغ الشهر الأول !
اجتاحني شعورٌ غريبٌ كأنَّ شيئً يقتلع رُوحي فتوسَّلت عدنان أن يُعيد لي محمد تاركاً سعد و نورة يستمتعان بالمناسبة !

أزعجهُ خوفـي الغبـيُّ ـ من وجهةِ نظرهِ ـ وحرصا على إرضاء دُموعي أرسل في طلب محمد !
فُوجئ الجميع باختفاء محمد الساعة التاسعة ليلًا وتكتـَّموا الأمر بحثا في أرجاء البناية ؟!
شعر عدنان بالقلق و استرقت السمع فإذا بهم يتلاومون....أين الفتى الصغير !؟
مرَّت ساعةٌ تلوَ ساعةٍ راود عدنان الشك ربما اغتصبهُ أحد السائقين !!
قرَّر التبليغ كحالةٍ طارئةٍ وانطلق عددٌ منهم شقيقايَ – هاني و ماهر – بحثا فـي الحيِّ المُظلم والشوارع الخالية و المزارع الميِّـتة ! هل أجدكَ حيًّا يا طفلي الجميل ؟!
خرجتُ بعد صبرِ أربع ساعات أصرُخ باسمهِ كالمجنونةِ !
لا أحد يُدركُ خُطواتي تـُسابقني للموت !
وما عُدتُ حتى الثالثة فجرا حيث أدركنـي أحد الجيران مُحاولًا إقناعي أنهم وجدوهُ ! ولم أستمع أحداً حتى جاءت أُمِّي تحتضني قائلةً: والله العظيم عادَ محمد ، عادَ محمد ولا يشغلني غير أنه عاد ، تكرَّر الحادث بصُورةٍ أقل وجع مرَّاتٍ عدَّة فهذا الفتى ينطلقُ نائما فـي المجهول فتيقنت أَنه يحتاجُ رعايةً خاصَّـة !
وذات صُورة شرخت ملامح الطمأنينة على جسرٍ خشبيٍّ مُتأرجح يفصل مئات التماسيح بمترين فقط ومحمد ذو الرابعةِ من العمر يكادُ يهوي للقاع طُعما للأبد !!
لولا رحمة الله بحالي و تداركتهُ فتاةٌ مُمسكةً بطرفِ ساقهِ والتَفَّ الجميع – في حديقةِ ماليزيا للحيوانات والعروض السحرية من جميع الجنسيات – يتبادلون الاسئلة بكُلِّ اللغات ، ومحمد مُتـَّسعُ العينين يضع طرف إصبعٍ فـي فمهِ يتأمل وجوههم لا يعي

ما قد يكون لو سقط على هذه التماسيح المتفاوتة ما بين المترين والأربعة !! توعكتُ ليلتين لا أنام ولا أصحو أتذكَّر الصُّورة حتى مسحتها صورةٌ أشدُّ قسوةً في ليلة السابع والعشرين من رمضان قُبيل ساعات الفجر جاء بساقٍ مُتورِّمةٍ قُطِعَ العرق خلف رُكبتهِ و لم ينزف دماً ؟! كان طفلًا مُدهِشا يستَلذُّ بالألم خشيةً من أن أحتجزهُ عن اللعِب !
استمرَّ موجوعا بساقهِ المفتوحة !
صابني الذُّهول وكالعادة لا وجود للأب الغائب !
استغثتُ بشقيقةِ الأب الأقرب سكناً و أسرعنا للمشفى فرفض الطبيب أن يَخيط الجُرح ، ليس ندَّاً لتَحمُّل المسؤلية !
تحوَّل الطفل البالغ العاشرة من العمر إلى المشفى العام للملك فهد والحالة الطارئة هل تحتمل الثوان الفاصلة بين النجاةِ والموت ؟!... فالهواء تسرَّب للوريد مما جعل حياتهُ فـي كفِّ الموت و أنا هل أستسلم ؟!...هل أرضخ للمصير ؟!
هرب الجميع طبيبا تلوَ طبيب و بدأ محمد ينغمس بالنوم مُتلحِّفا الخوف فـي صمتٍ مُميت لم يبك ، لم يشكِ
آهٍ يا طفلي الجميل فاحتضنتهُ بين ذراعـىَّ بعبارةٍ واحدة: " ستنجو أُقسم بالله العظيم فـي هذا اليوم العظيم أنك لن تـمُت " والجميع صامتون لم يجرؤ أحدهم الكلام !!
مرَّت الساعات تلوَ الساعات كأنها سنوات ومحمد ينام على صدري مُتلحِّفا ذراعـىَّ الساخنتين حتى اكتملت الأربع والعشرون ساعة و المُدَّة المحدَّدة لنهاية الصُّورة ؟!
لم تغفل عيناىَ لحظةً ولا نصفها ولم يصمت قلبي من تكرار

الدُّعاء في سُكُوت ولم تسقُط دمعةٌ واحدةٌ ثقةً بربِّي الذي ما خذلني يوما في أُمومتي وحرصا على طُمأنينة محمد في لحظاتهِ الساكنة صمتَ الذهول !!
هل هذه الصُّورة آخرُ الصُّور ؟!.. لا فالصورة التالية أشدّ قسوةً ، يوم غادرَ المنزل بعد أن صلَّى صلاةَ الفجر مُسرعاً للمدرسة في عام ٢٠٠٩ و كان شاباًّ في مُستهلِّ الربيع لم يُتم السادسة عشرة من العمر فاستغلَّت الخادمة سذاجة محمد لِتـُلصقَ به تـُهمةَ الاغتصاب جهلًا منها بالعواقب والقوانين !!
غادرَ الفصل عند الظهيرة فـي قبضة الضابط مُبتسما مُمتلأً بالثقة أنها مُجرَّد ساعات ويعود !!
عادَ بعد أُسبوعين فقد الابتسامة و ركعَ باكيا على قدم أبيهِ يتوسَّلهُ أن يثق ببراءتهِ التي تتبلور كالشمس في وضح ظهيرة !!
عادَ موجوعاً لا يتكلَّم ولا يحكي ولا يبكي !
كيف تألَّم ، مرَّ كابوسٌ يُهدِّدهُ بالقصاصِ بين كل ساعةٍ وهذا الصبيُّ صامدٌ صمود الجبل ، صابرٌ صبرَ الجمل !!
ينظر إلى سجادتي لا تـُفارق جسدي ويجلس فـي زاوية حُجرتي ! يتأمَّل سجدتي الطويلة فيضع لي قطعةً مطويـَّةً من القماش قائلًا: " بدأت الأرض تحفر جبهتك الناعمة "
كان لا يأكل وينظر إذا شبع الجميع ليبتلع بقايا الطبق الأخير و لا ينام ويحتضن فراشهُ المُعطَّر برائحة الأحزان عبر الاثير ، حتى صدر حُكم البراءة فـي التاسع من رمضان صادفهُ حُكمٌ باستدعاء عدنان للمحكمة فـي تـُهمة تزوير أليس الله الحكم البصير ؟! قررَّنا أداء الحج أربعتـُنا أنا و نورة و سعد و محمد .
رحلنا فـي ركاب الصمت نرتجي رحمة المولى القدير و ضاقت بنا ساعات ضياعٍ بين الحجر والبشر احتدَّت بنا و أخرجت حقائقنا ،

أرهقني نزيفُ حادٌّ فتوقَّفت بكل عناد ، سعد ؛ انفجرَ كالبُركان يقذف حميم الكلمات على رأسي !!
نورة ؛ احتبست مرارة التعب ووجيعة العتب بجُملةٍ وحيدةٍ:
" لولا أخشى نزوع حجَّتي لرجمتكَ يا سعد لدموع أُمِّي "
محمد في عالمٍ بعيدٍ ممُسكًا المسبحة يُردِّد: سُبحان الله وبحمده .والله أكبر و لم ينطق حرفاً لكنَّ النُّورَ في وجههِ يُجلي الهموم ! عادتْ الأيام و بدأت صورةٌ جديدةٌ
محمد ؛ يتخبَّط بين الصَّلاةِ والضياع حتى ليلة الكسوف .
انتصبَ الحق في سُطُور قائلًا : لا للجميع !
تُعرقل خطواتهِ القدر و تركَ الجامعة السنة الثانية يوم اختفاء أُمِّهِ – الهيلانة – دُون سابق نذير !!
ترك المصير مُسرعًا كالريح – أين أنتِ يا أُمِّي ؟! – وكأنني لولا محمد ما كُنتُ سأعود !!
التزمَ العمل بدخلٍ زهيدٍ ـ ألفان ونصف ـ كي يتكفَّل احتياجاتي من الدواء والزاد والرداء و التحقَ بالجامعة الاسلامية مُنتسبا ولم يتقدَّم للامتحان آثرَ شقيقته في تقديمها امتحاناتها تحت دوَّامةٍ من النار بينها وبين زوجها خالد على نفسهِ الكريمة

وقال : سيُعوِّض الله عليَّ يا أُمِّي
حتى سنحت له الفُرصة والتحق بمعهدٍ للصيانة في جدَّة بشُرُوطٍ قاسيةٍ رضُوخاً للضائقة الماديـَّة !
سافر محمد و انغمس في جمال الحياة حتى استفاق على خبر وفاةِ عدنان !! ألقى كل الأحلام وامتطى عناء الأيام وبدأ رحلةَ الأخ الأب المسؤل و الابن البار والصبيُّ الخجول يُحاول الحياة مُتخبِّطاً الرُّجُولة والطفولة !

إلى أن استسلم لرغبتي الغاشمة في إلقاء هذه الصُّورة وتمزيقها للبدء فـي رسمِ صُورةٍ جديدةٍ للمُستقبل !
ورضخَ مُكرهًا للسفر إلى التجنيد العسكريِّ فـي البحرية بالمنطقة الشرقية على بـُعد ألف وخمسمائة كيلو متر من المدينة !
وها هو اليوم يـُعاني مرارة الشوق للعودةِ إلينا !
محمد ؛ هل تقفُ يومًا فـي دربِ الحياة تنتهلُ الفُرص كي تعيش من أجل محمد ؟!

.....

تالـه وتيـَّـا

تاله وَ تِيًّا التوأمان أجمل عطايا الرحمن !!
ماتَ يزيد ورفعتُ كفَىَّ لله عزَّ وجل: " اللهُمَّ اجبـُرني فـي مصيبتي واخلفني خيراً منها " فعوَّضني فتاتين أجمل من الحياة !
1999 / 7 /7 هذا هو تاريخ الولادة !
خرجتُ من ولادةٍ على مشارف الموت أحتضن فرحتي بهما كأنّي لم أكُ أُمًّا من قبل !!
كُلَّما غفلت عيني أستيقظُ أُقبـِّلهما وأتأمل نبض الحياة في عينيهما ! أرضعتهما عامين وأربعة شهور ورغم مُعاناتي فـي إرضاء شراهتهما إلَّا أنَّ تدفُّق الأُمومة غلبَ نحالتي ، وُكُلَّما مرَّت صُورةٌ مُوجِعةٌ أكادُ أفقدُ نبض واحدةٍ منهُنَّ كُلَّما تعلَّق قلبي بكل تفاصيلهن ، رحلةٌ شاقَّةٌ طَوَت أعذَب طُفُولةٍ جريئتان .. مجنونتان .. حنونتان .
صُورةٌ تَجلجلَ صوت الفرحِ في جسدها و غطَّت مفاتنها جروحَ

الموتِ وطابت بِها ! سنةٌ تلوَ سنةٍ قصةٌ تلوَ قصةٍ بين الخيال والحقيقة ! لن أحكي كيف نجتا من الموتِ عشرات المرَّات ولا كيف تجرَّعتا مرار الأيام في عراك الأب و الُأم الدامي ولا كم مرَّةٍ بكت الأولى خوفا على الثانية أو رقصتا في طبول أُكذوبةِ الدنيا ، لكن !... سأحكي كم مرَّةٍ حاولتا الهرب من قصر الأب إلى حُجرةِ الُأم الفقيرة ، وكيف جمعتا ثيابهما ساعة الفجرِ وهروبا عبر الشوارع المظلمة سيرا على الأقدام حتى وصلتا إلى حُضني ، وليته ما كان !.. فأبي كأنه اغتنم الفُرصة ليرُدَّ لعدنان الصفعة بطريقتهِ الساخرة !.. قاومت وقاومت وحاولت الاتصال بالشرطة ....؛دُون جدوى ، رحلتا برُفقةِ الجدِّ مخدوعتان .. يا لِطفلتَىَّ الصغيرتين أوشك عدنان قتل – تالة – بالذات بحُجَّةِ أنَّ تِيّا ضحيَّة أفكار تالة ، حتى قرَّرت تيّا الهروب بعيدا عن البشر ؟!.. غامرت بحياتها بمُحاولةٍ تداركها القدر قَبل وفاةِ الأب بسبعة أيامٍ فقط ، أُصيبَ إثرها بوعكةٍ حادَّةٍ وعادَ بها في طريق الرياض إلى المدينة برُفقة تالة و معن يُراودهُ الشيطان قتلها في الصَّحراء الخالية !!

كُنتُ أموت خوفا .. وأنصهرُ كُلَّ لحظةٍ تمرُّ كأنها الدهر أتوسَّل ربِّي أن يجمعني بها وأن يموتَ من يحاول أذيتها و لو كان والدها !!.. نجت .. وكتبَ لها القدير عُمرا جديدا في وفاة أبيها !!

هكذا عاد إلىَّ أجمل توأمين ؛ تالة و تِيّا ، يا كُل الحياة !!

.....

مـعـن

مَـعَن ؛ مسكُ الختام وأجمل الأنـام جاء في غلطةٍ جمعتني بأبيه ، فقد تخطَّى الحمل الخط الأحمر من الخطر !
جاء في نهايةِ الرحلة و فقدتُ قـوَّتي و لم أكُ أهلًا لرعايته فعاشَ التشتـُّت والخوف وصراعِ الأب والأم لحظةً لحظة !
فقد الُأم طفلًا يبكيها فـي نارِ أبيه حتى مات الأب فـي حُضن هذا الطفل وما زال يذُوبُ خوفا كُلَّما توعَّكت الأم خشية أن يفقدها عُقَيب رحيل الاب !!
لك الله يا معن إذا ما اكتملت الصورة وزالَ الألم من صدر الطفولة !!

.....

شخـصيات جاءت بأول الدب

.....

سـهل

سـهل ؛ صورةٌ فرضت وجودها بين الصفحات بشاعةً ، و جمالها فاق المُفردات رَجُـلٌ يغزوني على بـُعدِ المسافات
شقيق زوجي ويكبرني من الأعوام عشرات صورةٌ لم أُدرك أنها بـُؤرةٌ للموت دون نجاة رَجُلٌ بخلقةٍ مليحةٍ وخليقةٍ قبيحة يـُغافلُ غفوتي ويسترق النظر إلى خُطوتي يستقطب الأحداث علَّها تجمعنا لم أتخيَّـلهُ غريما أو عدواً، دائماً يقتحمُ المنزل بصوته المتزلزل و يرمي عباراتٍ لا معنى لها !
وإذا سافر أخوهُ يتفقدني باسطا الأرضَ بورودٍ من الزيف ووعودٍ من الخريف السفيف و لم أكُن أستوعب الصورة ؟!

حتى تعرَّضني بعبارةٍ كرصاصةٍ ثاقبةٍ يومَ هدَّدني بقتل عدنان وتُشيِّع جنازته عاجلًا فما كان منـِّي إلَّا ردَّاً مُختصراً: اذهب وأخوك إلى الجحيم ولا تُزعج راحتي بمُهاتراتك الكاذبة .. فاحتدَّ مسعوراً سأرشم منزلك برصاصاتٍ لا عدد لها فأجبتهُ بكُلِّ غُـرُور: إذا قرعتَ بابي دون حضور أخيك فَثق أنّي سأستدعي الشرطة لتأديبك وأعدك أن تدفع ثمن هذه الكلمات !

كاد يحترق غيظا كيف لهذه الصغيرة تتصدَّاني وأنا من يهابه الرجال ؟!.. بدأ يبتعد عن كُلِّ مكان أتواجد أنا فيه خلافا للمعهود ؛ حتى طُعِنَ

عدنان بسكِّينٍ مسمومٍ اخترق ثمان سنتيمترات من كتفهِ الأيسر فتداركهُ القدر بعمرٍ جديدٍ !!

نجا عدنان وجاء سهل يُزمجر كالأسد قائلًا: أنا ما فعلتها وإن زلَّ لساني بها يوما فهي مُجرَّد كلماتٍ خرقاء .. لم يكن مُتـَّهماً لكنه حبكها مع مَن فعلها وكُلَّما تصدَّع قصري للسُّقوط أسرع مُصفِّقا بشماتةِ المغبوط !... حتى تمَّ الطلاق فجاءني مُتعطِّرا مُترنـِّحا بشيخوختهِ الشامخة خاطبا بدون مقدمات !!

سهل ... أوَّل رَجُلٍ تقدَّم للزواج بمُغرياتٍ يستحيل على مذبوحةٍ تتجرَّع الفقر والمرار أن تقول لها لا .. لا وألف لا !!

قال في مشهدٍ صريحٍ : " أضع العصمة في يديك وأكتب لك المبنى كاملًا ووزنك ذهبا وإن قضيتِ ليلةً واحدةً وأنتِ زوجتي ثم أصبحت وأنتِ رافضةً لي فلكِ الطلاق في اليوم التالي وبها أفتح باب عودتك لأخي مُحلّلًا ! " قال ذلك ثقةً منه أنه سجنٌ مُؤبَّدٌ وكان ولدي سعد يتغرغر الدموع مُحترقا بخضوعٍ كأنه مربوطٌ بحبال الذُّل لم أكترث ولن أكترث ورسالات التهديد لَن تفرشني أرضا لوطئتك يا سهل ولو منحتني قصرا فوق سطح القمر

ليس لأنك رجلا حقيرا ولا لأنك عجوزا كبيرا ولكنَّ طعم الحُريـَّة أثمن من جبال الحرير وإن أقسمتَ أنتَ للملايين أنّي لن أتزوَّج غيرك فأقسمُ لكَ أنا بالله العظيم أنك لن تلمسني حيَّـةً إلى يوم الدين !!

.....

.....

الأميرة سلطانة

.....

سُلطانة السديري أميرةٌ رسخت صورتها في حقبةِ الزمن دَخلت قاعةَ الفصل – الثالث الإعدادي للمتوسطة الأُولى عام 1986 .

– كانت كالشمسِ المُشرقة في فجرٍ غريب اقتربت من مقعدي واستأذنتني بالجلوس بجانبي وكُلَّما جاء موعد الإفطار تناولت الحديث معي بعباراتٍ حميمة !

أدهشني صوتها الرقيق وحوارها الأنيق و لم أكُ أعلم أنها من الأميرات ! سألتني : لماذا لا ترتدين الأقراط ؟!

أجبتها: لا تُعجبني ! كانت ترتدي ثلاثةً في كُلِّ أُذنٍ

طلبت رقم هاتفي وعرضت عليَّ المال ؛ى فرفضت بكُلِّ عنجهيَّـةٍ وغُرُورٍ كانت تـُداعبُ خصلات شعري وتقول :لم أرَ شقراء بكثافةِ شعرك الجميل و صادفَ أنّي انتقلتُ من المدرسة !!

يعزُّ علىَّ فراقكِ يا سُلطانة دويروق لي سُؤالكِ عنـِّي يا صديقتي الجميلة !!

.....

عمــر

عمر و الصُّورة العابرة في ورقةٍ حائرة ، يومَ خرجتُ من العشرين عامٍ دُونَ مأوىً أو سَبيل أمشي في دربِ المجهول لا أمتَلك ثمن الماء ولا غطاء ولا جَرأةً للبُكاء ، أغفَل مُرتكزةً على حافة جدار السُّور في سَّاحة الحرم النبويِّ الشريف ، فإذا بكفٍّ دافئةٍ تمدُّ لي بعض الطعام والماء بعبارةٍ ترتعدُّ قلقا ؛ هل حضرتك مصرية ؟.. يبدو أنه اختلطت عليه الملامح مُتخيِّلًا أنّي فقدت قافلتي من الزائرين !.. لكن دُمُوعي فضحت جُوعي ونظراتي شَكت أوجاعي ، فسرقت قلبَ عُمَر !.. أَقسم بالله إنه أخي أمام ربِّ العالمين و قضى ليلةً كاملةً يقف حارسا يُغالبُه النــوم على حافــةِ الطريق حتى توصَّل لإقناعي أن يستأجر لي حُجرةً وأمَّنَ لي وسيلة اتصالٍ وتعاهدنا على أن لا يتخلَّى واحدٌ منَّا عن الآخر !! عادَ عُمَر إلى قَطَر حيثُ يُقيم وكُلّ يومٍ يهاتفني مرتَّين يُطمئنني ويغمرَ خوفي بصوته الحنون حتى التقى بضعفي وأدمَن قِصَّتي ، طلب منِّي الزواج ، لا مجال للاختيار ، هذا الرَّجُل لا رَجُل إذا ما كان عُمَر ، يومها آمنت أن الرُّجُولة تنتهي فقط في رجال مِصر ، لكنَّ عُمر بدأ يختصر الحديث معي ، هل ملَّ مُعاناتي ، أم أثقلتهُ تكلفة المُكالمة الدوليَّة ؟!
ظلمتهُ الظنون .. بينما نتبادل الحوار لاحَ بخاطرهِ العارض الذي مرَّ علىَّ يوم بادرتني عوارض سرطانية !!
رحلُوا بعُمر إلى المشفى ليكتشف أنه مُصابٌ بسرطانٍ معويٍّ في

مرحلتهِ الأخيـرة أهلكتني الصَّدمة .. ودمَّرت هرمَ الأحلام ..
وأغرقتني في بحر الأحزان و الآلام و لا أمل للشفاء !!
وفي ليلة العيد شعرتُ أن قلبي يُنتزع من جسدي !، فصرخت موجوعةً أنظر للسماء فإذا بوالد عمر يقول : غادر عُمر في غيبوبةٍ ولن يعود وانتهى عمر وانتهت صورة عمر ، ولا يزال حفيدي – عُمَـر – يُعاتب الصُّورة بصورةٍ صادفت تشابه الأسماء .. مهما اختلفت الأشياء وداعًا يا عُـمَـر .. وداعًا إلى الأبـد !!

.....

حين غادرني المكان .. ثُريـَّةٌ سقطت وشمعتي احترقت .. وانحنى سقف الزمان .. جارتي قالت حزينه ؛ أظلمت كل المدينه رائحة طهوُ الطعام عشعشت مثل الحمام ، مذ رحلتي .. نافذة بيتي .... سفينـه ، تحوي ذكراكِ ضنينـه والعصافيـر الصغيره تبكي جوعا أم فقيـره ؟!
تشدو في نـور الصباح أحرفًا تشكي جراح دفي صدى الصمت المباح ، إنها سكنٌ بَراح ...
أين عَمرو .. كيف يرحل ؟!
بعدما زرع الجِنان ، كيف للزهرةِ تسأل: امنحوني بعض ماء ؟
أي عدلٍ يوم تذبل زهرةٌ تحت السماء هذه قصة قلبي ، رحلةٌ في سطر دربي ، غـادرت قـبـل الأوان ..

شخصيات لا تغيب

.....

الدكتور أحمد يماني
[عاما 2006 ـ 2007]

الدُّكتور أحمد يماني .... الصُّورَةُ الوَاقِعِيَّةُ فِي رِحْلَةِ العِلْم
أُستاذي الأقربُ إلى واقعي المُطَعَّم بالخيال !
التحقتُ للدراسةِ بعد انقطاع سبع سنواتٍ في عُزلةٍ تامَّةٍ وقرَّرتُ قبول الرِّهان بعد انقضاء خمسة أسابيع من بدء الدراسة في المعهد العالي التابع لجامعة أُمِّ القُرى بمكَّة المُكرَّمَة فِي إدارة الأعمال ـ قسم الدعوة والإعلام ـ؛ فكُنتُ الطالبة الوحيدة التي تمَّ قبُولها بشرط اجتيازي للامتحان التجريبيّ من لجنةٍ تُقرِّرُ كفاءتي وعدم إلزام الأساتذة بشرح الدُّرُوس التي لم أتمكَّن من حُضُورها فقبلتُ بشرطٍ منِّي وهو ؛ حسمُ
عدم الحضُور بعد تعاقُدي وما قبل ذلك لا يُحتسبُ غيابا في درجاتي . بدأتُ بكُتلةٍ من الحماس أذهلت الحاضرين قُبيل الامتحانات النصفيَّة للفصل الأوَّل أجتاحُ الامتحان تلو الامتحان بتقدير ممتاز عالٍ !
بَهَرَ الجميع هذا التميُّز والإتقان في تفاصيل الأجوبة إلَّا أنَّ أُستاذي الفاضل أحمد يماني الدُّكتور المُحتضن للمادَّةِ الرئيسيَّة ـ الإدارة العامَّة ـ اقترح علىَّ تخصيص وقتٍ إضافيٍّ لشرح الدُّرُوس التي فاتتني فأصابني الغُرُور وبكُلِّ عنجهيَّةٍ أجبتهُ قائلةً : هل ترى أنّي بحاجةٍ لهذه الدُّرُوس ؟!
فانزعج وكتم غيظهُ ماكرا حتى يقتصَّ منِّي دُون إثباتٍ ذلك

بَدَأَ يتجاهُلني .. ويتجاهلني .. يخصم درجاتٍ من دُون سببٍ
ويتعمَّد استفزازي حتى بات ذلك واضحا للجميع ، الأغربُ في الصُّورةِ أنّي تماديتُ في العناد وبدأتُ أستغلّ الحبكة لصالحي مُعلنةً الحرب !!
أحمد يماني ؛ انفجرت القُنبلة الموقوتة في قاعة العلم فعوضا عن أن يتصيَّد أخطاءى بدأتُ أتصيَّد له الأخطاء بكُلِّ جرأتي وأتجادلُ في تصحيحها أمام الطالبات فيحتبس الغيظ مستنكرًا أو مُسترسلًا بالشرح !!
احتدَّ بعضُ الأساتذة تعاطُفا مع الدكتور أحمد والبعض معي ، حتى جاء القدر يكسرني بوعكةٍ صحيَّةٍ قُبيل الاختبار الأخير الحازم وحضرت الاختبار وأنا في أسوأ حالاتي وبينما أنا مُنهمكةٌ إذ بالمُشرفة العامَّة تسحب ورقتي قبل انقضاء الزمن ؟!
لماذا ، ولماذا أنا وكيف ؟!

بدأت تدَّعِي أنها لمحت في طاولتي رُمُوزا تختصر الأجوبة و بدأتُ أبكي بحُرقةٍ فهذه ليست طاولتي بالأساس !؛حتى تدخَّل الدُّكتور أحمد يماني وهدَّأني بعبارةٍ دافئةٍ جدًّا أعادت لي صمودى وعزيمتي للاستمرا... أنصفني بين زوبعة الظُّلم المرير !!
انتهي الفصل الأوَّل... وكانت الكارثة للجميع .. أنا الأُولى على الدُّفعة بأكملها !؟ .. نعم الأولى بتقدير مُمتاز - 97 في المائة - فاندلعت الحرب بين الطالبات و لما هىَ وكيف وهى المُلتحقة بعدنا بخمسة أسابيع ؟!.. وانفجر بُركانٌ من الحقد والغيرة المُفرطة يكادُ يلتهمني ويحرقُ فرحتي التي ما كادت لتـُزهر حتى اقتلعوها بجبروت الظُّلم ، وما أحقره من ظُلمٍ لعين أحترقُ في كُلِّ مشهدٍ حقيرٍ !!.. احتشد الجميع بجُملٍ ساخرةٍ منها:
((هذه الدرجات تقييمٌ لجمالك وليس لمجهودك !!))

((لابُدَّ أن بينك وبينهم مُحادثات خاصَّة جعلتهم يمنحوك أكثر ممَّا تستحقين !!))
وكانت أقسى جُملة من طالبةٍ مُقرَّبةٍ إلىَّ سقط قناعُها :
((لماذا أنت الطالبة الوحيدة الحاصلة على درجة المائة من المائة فـي مادَّة السَّياحـة ؟!))
وتكاتفت الطالبات ضدِّي مما أجبر الإدارة ـ ولستُ أدري كيف ـ بمنح كُلِّ طالبةٍ قـي مادتي السياحة والدراسات الإسلامية 25 درجة !! جُـنَّ جُـنُـوني فأنا مُكتملةٌ فـي هاتين المادَّتين فبأيِّ حـقٍّ تـُمنح الطالبات بما فيهنَّ الثانية والثالثة والرابعة .....
والأخيـرة ؟!...؛ فصرختُ هـذا ظُلُمٌ فـردَّت لـي المُديرة للقسم بمُنتهى الاستفزاز والبُرُود:((هل تُريدين درجات فوق المئة ؟!))
فأجبتها:الموضوعُ نسبيٌّ فبذلك يُصبح الفارق لصالح الطالبات وأتحوَّلُ أنا إلى الرَّابعة !!
فضحكت بلؤمٍ شديدٍ وكُلُّها غُرُورٌ يمتليءُ بالحقد !؛وبصيغة التحدِّي قائلة:((هذا هو المطلوب وكثيرٌ عليك فتذكَّرِي أنك التحقتِ فـي مُنتصف المُـدَّةِ !))
التزمتُ الصمت ساعاتٍ وأيَّامٍ وليس لـي خيـارٌ إلَّا الانسحابُ بهدُوءٍ أتـجـرَّعُ حميم الظُّلم لإتـمام الفصل الأخيـر فـي مُحاولاتٍ للوصُول للمسئولين بالمقـرِّ العام للجامعةِ !

.....

أحمـد يمانـي ؛ الصُّورةُ المُنصفة فـي وجيعـة الضعـف ، قـرَّر خـوض الفصل الثاني بمادَّة المُحاسبة الأصعب على أغلب الطالبات قائلًا:أنـا لستُ الأكفأُ لهذه المادَّة ، لكنَّ حرصي على واحدةٍ من الطالبات جعلني مُتمسِّكاً بدُفعتها لآخر يومٍ فـي المرحلة

الأصعب مُحاولًا دعمها ولو عن بُعْدٍ ودفْع بعض الظُّلم الواقع عليها فـي مادَّةٍ لا يدَ لـي عليهـا !!
شعُرتُ بالطمأنينة؛وبدأتُ أستعيدُ حماسي شيئًا فشيئًا حتى اندمل الوجع !.. وبدأ يقلُّ جهدي بوضوحٍ لكنَّ تفوُّقي كان أكثر مُرُونةً حتى أنَّ بعض الطالبات يلجأن لـي في حلِّ المسائل الصعبة وتلخيص القواعد !
الأهم ؛ كيف أدخلني هذا الرَّجُل إلى عالم الصحافة الإلكترونيَّـة ؟!.. كان ضمن المادَّة ـ فرضا على الطالبات ـ كتابة مقالٍ ينتقد مقالًا للدكتور أحمد يماني أو يُحاكي نفس الموضوع وكنت مُستمتعةً جداً بمقالاتي الهُجُوميَّـة المُعارضة للدكتور بجزالة الأسلوب وبلاغتي العربيَّـة !
وكان لافتاً للجميع الخطّ الجميل والعبارات الثقيلة فـي نصٍّ مُختصرٍ بليغ !
انتهى الفصل ومضى الامتحان الأخير وكلما مرَّت ساعة من الزمن لم أشارك بها خلال الدرس تفقَّدني الدكتور بسُؤالٍ ماكرٍ كى يستقطب كُلَّ طاقتي نحو الدرس مُستمتعا بنغمة الحوار تقرع القاعة !.. هكذا انتهى الفصل الأخير من صُورتي فـي مُدرَّجٍ مُزدحمٍ ممزوجٍ بقلوبٍ نقيَّـةٍ تغمرني المحبَّة وعيونٍ عتيَّـة تنهشني طريـَّة !!
ورغم أنّي الأُولى على دُفعتي بتقدير 98 بالمائة للفصل الأخير ومنحةٍ مجَّانيَّةٍ من الجامعة لاستكمال الدراسات إلا أنَّ حرماني من حُضُور حفل التخرُّج كان مُكافأةً من – عدنان – الزَّوج الرَّحيم .. وحرماني من إتمام المنحة الدراسيَّة بقرارٍ من أبي بحُجَّة الإغتراب ممنوعٌ فـي قانوننا الدستوريّ العظيم !!:
.....

رحلت صُورة أُستاذي القدير ؛ أحمد يماني !والتصقت المجلَّة الإلكترونية ـ الاقتصاديَّة السُّعوديَّة ـ وبدأت كاتبة بحرفين [س أ]؛حتى تحوَّلتُ مع الزمن إلى " هيلانة الشيخ "
وبعد:
الدُّكتور أحمد يماني صُورةٌ توَّجتني في كُلِّ الصُّور وضع قدمي على أوَّل سُلَّمٍ للنجاح !!
.....

الشاعر الكويتي

أحمد العُتيبي

صورةٌ وآيةٌ من آياتِ الجمال يتسابق مع الزمان في كُلِّ مكان
الشاعر أحمد العتيبي
.....
شاعرٌ خاض تجربة – شاعر المليون – شابٌّ في مُستهلِّ العشرين من العُمُر يتسابق مع الزمان في كُلِّ مكان ..
أحمد بن عَقْلا العُتيبي اقتحم صومعتي و طرق أبواب قلبي مرَّات ومرَّات تبادلنا في ساحات القصيدة أبيات !
حاول جرفي إلى بحور النبطيَّة من الأشعار .
الشاعر ذوالعشرين عام ... كان مُعلِّما وأُستاذا في ساعات وتلميذا في لحظات !.. يُشاكس بهدوء ويغتربُ في عيون الكلمات !.. تجمعنا المُصادفات وتُفرِّقنا الورقات في طيَّاتها المُتهالكة !
أحمد بن عقلا ... صورةٌ شعريَّةٌ ولوحةٌ أثريَّةٌ تقطنني كلما

رحلت فـي مسار الخليج نحو مشرق الأسرار ... وكيف يُصاغ الشاعر في محارِ الأيـَّام مع شاعرٍ يـُعلِّمهُ قصيدةً للـغـرام !!

.....

فـاروق جـويـدة

فـاروق جُـويـدة ... و صُـدفـةٌ سـاحِـرةٌ
أشـرقـت فـي أوراقي شـمـسُ هـذا الـشـاعـــر
فاروق جُـويدة ... صُدفةٌ ساحِرةٌ !
أشرقت في أوراقي شمسُ هذا الشاعـر !
ليس ممن يتنمَّقون الكلام وهو صانع الأبيات في شهدِ الغرام و هذا الرَّجُل يوم عُرِضَ علىَّ رقمُهُ الخاص تردَّدت فلا مُبرِّر للحوار بيننا !.. وفي لحظةِ افتتانٍ برائعتهِ – اغضَب – قرَّرت الاتصال ولم يُجب ولم أتعجَّب فقد كان مُتوقَّعا لكن الغير محسوب في زحمةِ الأضواء أن تلتفت الشمسُ إلى نجمةٍ بين ملايين النجمات !
هاتفني بعد يومين يعتذر ويُسلِّم ويُطري على قصيدةٍ قرأها لي عن ابني سعد ؛

ضَـاعَ مِـن عُمْـرِي وَلَـد كَـانَ بـالَأمْـسِ أَسَـد
أَضْحَـى كَتـُرَابِ الـرَّمَـد
مَـن لِعَـبْـدٍ صَـارَ عَـبْـد كَـيْفَ لله سَجَـد
ابْـنُ بَـطْـنِـي لَـم يـُلَـد بـالكَـرَامَـةِ قَـد زَهِـد
عُـد إِلَيْـنَـا يـَا سَـعِـد عُـد بـقَـلْـبِـكَ وَالجَسَـد
يـَا شَـبَـابَـا مِـثـْلَ وَرْد يـَا كَـرِيـمَـا لَـوْ وَجَـد
يـَا ثِـمَـارَ مَـن حَـصَـد مَـا زَرَعْـنَـاكَ نـَكَـد
كُـلُّ مَـن حَـوْلَكْ حَسَـد غَـيْـرُ أَهْـلَكِ كَـالسَّـنَـد
فَـهَـل تـَعُـودُ يـَا سَـعْـد تـَجْـلِـي حُـزْنِـي وَالكَـبَـد

هَـل يـَعُـودُ مَـن فَقَـد نـَبْضَ رُوحٍ فِـي وَلَـد ؟!

وبدأ يسترسل بالحوار كأننا الصديقين مُنذ عشرين عاما !
هكذا بدأت الصُّورة الأروع في صفحاتي تتلوَّن بألوان الفرح المغرور ... نعم فأنا وفاروق صديقان !
تكرَّرت الحوارات والمُراسلات وتعلَّمت من عظمته الشعريـَّة :أن الشاعر يَعظُم كلما تواضع لمن هـو أقل منه ومرَّةً برُوحٍ طيبةٍ سرد لي قصصا عن أيـَّامهِ زمن – العندليب – وكم كان يتمنـَّى أن يُجيد العاميَّة ليحظى بإرضاء عبدالحليم حافظ !
ومن بين القصص رحلنا إلى عام الأُسطورة – نـزار –
فقال: كانت بيننا حميميَّةٌ اشتاقها بعد رَحيلهِ !؛وفـي صوتهِ نبـرةٌ عميقةٌ من الحُزن والاشتياق وقصّ عليَّ – مشيرا للمقعد الذي يجلس عليه نزار – كيف يتجادلان فنزار يتفاخر أنه السطر الأول من القصيدة ، بينما فاروق يغلبه بأنه السطر الأخير منها .. ويوم عيد شم النسيم اتصل يُعايدني ؛ومن يومها تعلَّمت أنَّ الأعياد فُرصٌ لتـُرسل عبرها جُزءا بسيطا من محبَّتكَ لأشخاص ربما تعني لهم الكثير الكثير !
وإذا سرقتني دوَّامة الحياة بعيدا عنهُ أرجعتني اللهفة لصوتهِ العذب وكلماتهِ الدافئـة وصورةٍ تعلَّقت في جدار قلبـي مكتـوبٌ عليها: " أنت باقٍ يا فاروق "
في ليلة رمضان ـ ٢٠١٤
بينما الحُمَّـى مُلتـهبـةٌ فـي جسـدي وقـادحةٌ في عيناي تذكَّرني فاروق ؛ وينك يا سَـهَر ؟.. وعندما سمع صوتي أيقن أنّي أتألَّم وتوجَّع لحالتي وطلب منـِّي الاعتناء بصحَّتي ولم يُفارقني حتى قطعت له عهدا كما أحبَّ !
هذا النقاء لم أتجرَّعهُ مُنذ زمنٍ بعيدٍ ... بعيدٍ ...و لم أتجرَّعهُ قبلًا

قــط !.. كان في أحد الحوارات ناصحا فقال:لا تُقدِّمي كتاباتك لأحدٍ دون مُقابل لأنه سُيلقي بها على الرَّف وتعوَّدي أن مَن يُريدها سيدفع ويعتني بما اقتناهُ منها !
كان مدرستي والجُرعة التي أتداوى بها كلما تزحزحت ثقتي بسطرٍ كتبتهُ وكسرت به المألوف !
هذا الرَّجُل هو مَن وضع قلمي في مضمار الشعراء حين قال ؛ " أنتِ موهوبةٌ بالفطرة ولو كسرت الوزن في شطرٍ فاطلقي العنان لكلماتك فهي تمتلك رُوحًا شفَّافةً تَنمُّ جليًّ عن أُمومتك الطاغية "

.....

فارُوق جُويدة : هذه الصُّورة محفورةٌ مُتوهجِّةٌ بألوانٍ مُشرقةٍ لا تختفي بين الصُّور ... ولا تضيع في صفحات الورق !

.....

إبراهيم يُسري

السَّفير المصريُّ السَّابق في دولة العراق
وعُضو اتِّحاد الكُتـَّاب العرب
والمُحامي الدَّوليُّ الثائر

الصُّورَةُ الأَثمَن

.....

سأسعد بسماع صوتك أيتها المُبدعة الرقيقة !؛ولابُدَّ من تعميم إبداعك في مصر !.. كانت هذه العبارة مصحوبةً برقم الهاتف الخاص للسفير المصريِّ السابق والمُحامي الدوليّ وعُضو اتِّحاد الكُتـَّابِ العرب مَرَّ نهارٌ كاملٌ وأنا أتمعَّنُ هذه الكلمات !!
أنا هيلانة الكاتبةُ محطُّ اهتمام الرَّجُلِ العبقريِّ العظيم !

كان مُتابعا شغوفا مُعقِّبا على أغلب كتاباتي بجُملٍ كلٌّ جُملةٍ منها تحكي حكايةً ؛ " رُحماك يا هيلانة أخرجتني إبداعاتك من كهفٍ مُظلمٍ وبدأتِ تُذيبي الجليد الذي تراكم على مرِّ السنين " وكانت هذه أوَّلَ عبارةٍ !!
" نُورك يا ستّ الكُل نوّر حيّنا " وتلك العبارة التي أشعلتني حدّ الجُنُون ، من أنا ولأين أكُون ؟!
ومن يومها لم أدع فُرصةً دُون الاقتراب من هذا النهر الوفير والرَّجُل الوزير إلَّا وتشبّثتُ بها مليًّا فهل أكتفِي شرفا وأنتشي فخرا وأنا المُبدعة في جُملةٍ أستشهدها عبر الملايين أعجزُ أن أصف !.. فُربَّما عبر مُكالمةٍ هاتفيَّةٍ تلتحم الأحلام وتلتئم مُعاناة الأيَّام ويقفُ على بُوَّاباتها كُلُّ الكلام
لحظاتٌ غمرتني جنان الأبِ وصُورةُ ملَّكتني حنان القلب
لم يكُن مُجرَّد داعمٍ بل صديقا صدوقا رفيقا أنيقا وليس عشيقا
.....
إبراهيم يُسري ؛ صُورةٌ خالدةٌ ماجدةٌ ... تواضعت لي من أعلى القمم وسحبتني من زحمة الكَلَم بشهادةٍ من أعظم قلم !!
إبراهيم يُسري هذه الصُّورة شبَّعتني ثقةً وأنا ما زلتُ في بداياتي الرقيقة كان عُودي لا يزالُ طريًّا يتمايلُ بين جُملٍ من الإطراء وجُملٍ من انتقادات الشُّعراء لكنَّ صُورةً كصُورة إبراهيم يُسري تشُدُّ أزري وتجعل الساق إلى السماء في عناق !!
.....

مجدي الجلاد

.....

مجدي الجلَّاد ... صورةٌ عالقة في ورقاتي لرجُـلٍ بكى أمام العالم مُتوجِّعا لحال مصر ، هذه الدُّمُوع أيقظت قلبي !
قرَّرتُ أن اقتحم كينونتهُ ثلاث مرَّات .. في المرَّة الأُولى :عرَّفتهُ بنفسي وكان التعريف مثل سطوٍ واقتحام ، بدأتُ أفرضُ عليه وُجُودي المُزعج ، حتى حان الوقت لبدء الحوار ؛ فبادرتُ بجُملٍ مُختصرةٍ " أنا كاتبة ومُحرِّرة وأُحاول الخروج من قوقعتي المحليَّـة للدائرة الثقافيَّـة العربيَّـة " أنصت بكُلِّ إمعانٍ واحترامٍ وبادرني الحوار ورحَّب بي وقرأ لي بعضًا من كتاباتي ولم يُعقِّب عليها .. أزعجني ذلك واعتبرتها لا مُبالاة ، فكُنتُ أطمعُ منه تعقيبا أو نقدا لصالحي أو ضدِّي .. فاعتصمتُ بعيدا وهلةً من الأيَّـام !... في المرَّةِ الثانية فرَضتُ عليهِ وجُـودي .. وبادرتُ بالحوار ... أَوَدُّ أن أحظى بصداقتك !
– بطريقةٍ مُتسَلِّطةٍ – لم أتدارك خـوفـي ولم أُنصِف مكانتهُ كَرجُـلٍ ، كتبتُ له بوضوحٍ مُزعجٍ:
" أنا أطمع في كسب صداقتكَ ولكن ليس للصداقة بل لاسمك اللامع وثقتي بكفاءتك العالية فأنتَ هدفٌ يروق لي ! " فانزعج قائل اً: عليكِ أن تكسبني أصدقاءكِ لذاتهم لا لمكانتهم وأنا تُشرِّفني الصداقات النقيَّـة ولا تروقني صداقةُ المصالح الكاذبة !
انسحبتُ بكُلِّ هدوء ... ودُون تعقيب فلم أجد سبيلًا للخروج من مأزقٍ ورطَّني من الحرج ما ألزمني الصمت !
وعندما تعرَّض الرجُل الأنقى للاضطهاد الظالم شعرتُ أنه يتوجَّب عليَّ مُحاولةً ثالثة ولو عن بـُعدٍ !
أبعثُ في طِـيَّـات – الواتس – خاطرةً أو قصيدةً رُبَّما تـُحاكي فيهِ

الرَّجُـل المصري الكريم !.. فهل تفي وعدكَ يا مجدي يوم قُلتَ : سأكتبُ يومَ يحين الأوان ما أراهُ فـي الهيلانة بكُلِّ إنصاف ؟! هذه العبارة أشعلت بصيص الفرح داخلي سنتين من الانتظار ؟! رغم ازدحام الأسماء الناقدة والشخصيَّات اللامعة المُولعة بكتاباتـي إلَّا أن مجدي الجلَّاد صورةٌ مُختلفةٌ لإيماني الشديد بمصداقيَّة هذا الرَّجُل ونزاهة قلمه !

عفواً إليك صاحبي أكثرتُ في جُمل الكلام
و وددتُ لو لم أستطل لكن لرأيك احتكام
يضع النقاط على الحروف أنا إن أبالغ لا مَلام
فبلوغ مجدي في زمان و كنز البلاغة لا يسام ..

.....

النَّاشِطَةُ السِّيَاسِيَّة
جميلة واكد

.....
جميلة واكد صورةٌ من نوعٍ فريدٍ لم نتقابل لكن جمعتنا السُّطور والكلمات والصورة !.. دار بيننا حوارٌ ترسَّخ عبر السنين حين قالت لي :ثورةٌ سُتنجبُ ثورات وثورتكم نهضةٌ تثورها النساء !

.....
ناشطةٌ سياسيَّةٌ أشعلت ذُروةَ الحماس في رُكُودِ رتابةِ الجهل ، اقتربتْ من حُلمٍ نائم ، رحَّبت بكلماتي في جُملةٍ ناصحةٍ ... " تمسَّكِي بأهدافك"
كان دافع الحوار استفسارٌ عن صلتها بالفنَّان الثورجيِّ عمرو

واكد وعن مصداقية صفحتهِ التي ترتبط بصفحتها بصلة القرابة ، استبعدت أن تكون الصفحة لمُنتحلٍ رغم عدم يقينها بحقيقة الصفحة !

وطالبتني بمحاولة إثبات إذا كانت صفحة مُلفَّقة لابن عمِّها الفنـَّان أم لا ؟!

حاولت مُهاتفة مُدير أعمال الفنـَّان – عمرو واكد – وتحت وعودٍ كاذبةٍ انتهى الحوار بناءا على دلالات ، إنه واردٌ جدًّا :أن يكون مُنتحل اسم الفنـَّان عمرو واكد من المقرّبين !؟ وانتهى حماسي بيَن تلاعُبات محمد ولكن ... !؛بهرتني هذه المرأة في ردَّة فعلها الصارمة يوم أبلغتني – إيناس عُرابي – برسالةِ محبَّةٍ وإطراءٍ من جميلة و عمرو فتعمَّدت في سردٍ غير مُباشرٍ إبلاغها شُكري لاهتمامها ثقةً منِّي أنها لم تلتق عمرو ولم تذكرني في حديثٍ عابرٍ كيف ثأرتْ للحقيقة علنا على صفحتها ودون مُراوغةٍ ... اختصرت الحوار وأغلقت أبواب اللعب في اسمها الفاصل كحدِّ السيف !

تحياتي أيتها الجميلة في صورة الناشطة وإن اختلفنا في مسار مُسمَّى حزب فلن نختلف على مُجمّع العقائد !

.....

خالد يوسف ... الصورةُ الناقصة !

.....

كُلَّما ظهر كالشمسِ في لقاءٍ على شاشة التلفاز الكاذبة كلما اقتربَ إلىَّ هاجسٌ مجهول يقول :سنلتقي يوما ما وتكتمل الصورة !

عام ٢٠١١ بعد ثورة يناير بدأ لافتا لي هذا الرَّجُل الثورجيّ
فأصبحت مُولعةً بتتبُّعهِ في كُلِّ مكانٍ وزمان !
لم أدع فُرصةً للإصغاء إليه والتدقيق في حوارتهِ الساحرة وأناقةِ
الكلمات على صفحاتهِ ! .. وبدأت اقترب رُويدا رُويدا من خُيُوطِ
الطريق إلى هذا العبقريِّ المُبدع - المخرج العالمي - وكيف
أدخل الدبَّابات في عهد الرئيس المخلوع حسني
مبارك و صادفت أنّي مدمنةٌ للشخصيات السياسية الطفرة في
دورها لمحاولة تغيير مصير الظلم على أرض الواقع !
كتبتُ قصَّتين كبادرة لقصَّةٍ تُحاكي أحداث المجتمع السعوديِّ؛
تكشف مكامن الفساد باستخدام القُوى البشرية المصريَّة !
وكان المُخرج خالد يوسف بوَّابتي الأجمل لاكتساح هذا الوسط ...
!.. فاحتزت رقمه الخاص من أحد الزُّملاء !

.....

فـي ١١ / 11 / ٢٠١١
أصبحت صديقة على " الفيس بوك " لصفحتين تحملان اسم
خالد يوسف وعشرات يحملن اسم الفنان الواعد " أحمد عز الدين
الشهير بـ أحمد عــز " اقتربت كصديقةٍ عارضة للصفحتين
التابعتين لخالد يوسف ؛ وكصديقة عارمة للفنان أحمد عز !
بلَغت الصداقة أعلى مراتبها و أدمَنتُ هذا الرجل وَيوما ما
طلبتُ رقمهُ الخاص من بابِ الاحتياط وسُرعان ما بعثه لي خلال
سطور الدردشة و صادف أنه الرقم الخاص للمخرج
خالد ! فسألته :فسِّر لي هذا ؟!
فاختلق قصَّةً مُوجزها أن الرقمين بصُدفة الخطأ من شركة
الاتصالات !... ومُبرِّرات فـي منتهى الغباء !
لم آبه فليس محض اهتمامي من هو المُنتحل الحقيقي للصفحة
الرسمية للفنان أحمد عز !

وكان مُتوقَّعاً حرص – أحمد عـز – على عدم ترك أيِّ خيطٍ يُدينـهُ كَصاحب صفحة عليها تساؤلات مُزعجة !
لكنَّ الكارثة أن واحدة من صفحتي المخرج خالد يوسف تحمل نفس رقم – الاي دي – للصور المُنزلة وموقع الانزال موثق من المعادي ـ الجيزة ، إذن هناك مَن يستخدم اسم الشخصيتين مُستغلًا هاتف خالد الخاص وتحرُّكاته !
يتمثـــَّل بأحمد إلى حدّ يكاد أن يكون أحمد بعينهِ .. أفصحتُ عن شكوكي للزميل الصحفي العزيز عادل مُراد فطلب مُساعدتي ؛ ولكني رفضت ففوجئت بمقالٍ محتواهُ الآتي :
" أكَّدت الكاتبة والفنَّانة التشكيلية السعودية هيلانة الشيخ ـ وهو اسم الشهرة علي صفحتها علي الفيس بوك علي حدِّ قولها ـ:
أنها تمكَّنت من كشف المخرج خالد يوسف في انتحال شخصية الفنان أحمد عز علي ((الأكاونت)) المُزيَّف له علي الفيس بوك كي يقيم علاقات غير شرعية مع الفتيات !
كما أكَّدت أنه كي يثبت للفتيات أنه أحمد عز فعلًا يقوم بإرسال صور لأحمد عز وهو عاري كي تكون هي الإثبات الحقيقيِّ علي أنه عز ! أوضحت الشيخ:
أنها استطاعت أن تُسجِّل فيديو بكاميرا ويب لخالد يوسف وهو عاري تماما ومخمورٌ مُشيرةً إلي أنه كان دائماً يقوم بهذا الفعل مع الفتيات وأنه قد اختفي فترة زواجه ولكنه عاد ليقوم بنفس الأفعال التي قام بها من قبل !
أكَّدت أنها كشفت أمر خالد يوسف من خلال الصُّور التي يُرسلها لها في كل مرَّةٍ من إميلات وحسابات وهميَّة بأسماء فنـَّانين ولكنها من نفس الجهاز وتحمل نفس رقم الآي بي الخاص به كما أنه كان في كل مرَّةٍ يُخطيء ويحكي تفاصيل مُشتركة في

المُكالمات ! وأكَّدت أيضاً أنه في مرَّاتٍ عديدةٍ واجهته بكلامه؛
فاعترف أنه كان مخموراً وأنه يقول كلام لا يدري به ! "
خالد يوسف قام بجمع كُلِّ طاقاتهِ لإخفاء الخبر !؛ولم يتصل بي
ولم يرسل لي شخصيًّا ولم يقترب إلى اسمي الوارد على مسمعهِ
مرَّاتٍ عديدة استوقفني المقال طويلًا ما هي صورتي في نظرِ
المُخرج ؟!

اتصلت به وبكل رحابة صدرٍ لم أتوقعها استمع لي طويلًا طويلًا !
وداخل الحوار... المد والجذر العفو والتهديد !موجةٌ من
الغضب أخمدتها موجةٌ من العطف الشديد واعتبرني الفتاة الغبيَّة
التي استغلَّ سذاجتها الجميع !
بدأتُ أتفكَّر في كينونةِ هذا الرَّجُل إذ بمُستطاعهِ مُقاضاتي على
حدِّ قولهِ الذي صرَّح به ساعة الغضب وكان ردِّي البارد صدمةً
صاقعةً أنت بشر ؛ وعرضةٌ للقيل والقال وشخصيةٌ مُستهدفةٌ
سياسيًّا واجتماعيًّا ، فضع في الحُسبان أنَّ العيار
الغير مُصيب مُزعج !...؛فاحذر معي وثق أنّي لن أتخلَّى عن
عادل مُراد وإن كان مُذنبا !
كان قناعا زائفا خلفهُ كان وجها ضعيفا خائفا و من هنا بدأت
تكتمِل ملامح الصورة ! بدأت حكاية الكاتبة والمخرج المشهور !
أيقَنتُ أنَّ القدرَ يجمَعُنا عُنوةً لقصَّةٍ دون نهاية !...؛تهافَتت على
إثرها أُقصوصات بين الطريف والمُخيف والسفيف العفيف !
بدأتُ أتجاهَل القصص رغم مُلاحقتها لي دون رغبتي وأقف
على جدار الحقيقة أنا وخالد !
ولماذا يستهويني هذا الرَّجُل ويجرف فضولي ؟!
وذات حوار سألت صديقي – شريف علي – مُساعد مخرج عن
خالد ضمن العديد من الأسئلة ؟!.. فأجاب :لولا الله ثم هذا الرَّجُل

لما وجدت رغيف الخُبزِ في شدَّةِ مرضي هذا الرجل فتح بيتي وكثيرا من البيوت !
خالد يوسف !.. كُلَّما اقتربت إليكَ كلما بهرتني يقوةِ الرَّجُل داخلَ جبروتكَ الحنون !
لم أأسف على قدرٍ جمعني بك وكُلَّما انتابني الجنون العارض بين دوَّامات الحربِ القابعة داخل جُمجمتي المُنغلقة اتشبَّثُ الرُّجُوعَ بجُملةٍ مُدويِّةٍ تعلَّقت ضفافَ ورقاتي الضائعة على رفوفِ القصص وذات يوم !
اتفقنا إن أصبحتُ على أرض مصر أُمسي في زيارةٍ إلى خالد نلتقي لو ساعةً من الزمن وحصل !
في أوَّل زيارةٍ لي بعثتُ له سطراً ؛ولم أتوقَّع أن يمنحني هذا الاهتمام ويستقبلني في مكتبه الخاص في – المهندسين – في وعكتهِ الصحيَّة الحادَّة مُعرضا عن العمل و منحني عِوضا عن السَّاعة ساعتين وما يزيد !
كان ينتظرني في زحمةٍ من العمل و جلسنا بعد مُصافحة دافئة وقُبلةٍ على خدِّي الأيمن لم يسبقها إنذار !
خالد يوسف ... بدأت تكتمل الصُّورة وأوشكت على نهايتها !
لكن عبثا بدت ... بل انتقصت الكثير ... وأظُنُّها لن تنتهي أبداً !. فبعض الدِّماء تجف وبعض النُّدوب تلتئم ... لكن الوجيعة تنمو داخل الجسد والروح ... تحتضر في مقابر الطهارة !!

.....

الفنان

أحمد عز

.....

أحمد عز الصورةُ الأجمل بيَن الواقعِ والخَيال ، بيَن الموتِ والحَياة بيَن الأوهام وَالأحلام .. صُورةٌ في داخِلها ألف صورةٍ .. الصُّورةُ الُأسطورة !!

أحمد عز ؛أيُّها الإنسان الغَير إنسان !!

.....

بدأت حروفا في صفحات الذاكرة يومَ سجَّلت رقماً قِياسيَّاً في الضغطِ على الأرض في لقاءٍ على شاشة (M BC) !!

يومها انطبع الرقم: 23 / 7 / 1971

ولن أفسِّر هذا حتى ألتقيكَ يوما وأهمس لك في ورقةٍ فارغةٍ...؛

لماذا أنتَ وأنا ؟!

.....

عام 2003

مُصادفة تلتقي العيُن الشاهدة في صالة الاستقبال لفُندقٍ في بيروت –برمَّانا – هذه العبارة ترنُّ فِي مسمعي وأنا مُبرقعةٌ – تضرب أشعة الصباح على عدسات عينَىّ – " دي لون عينيها ايه أزرق ولا أخضر ؟!.. لا دي كرُهات يا عم ! "

لم يلفت نظري هذا الشابُّ الوسيمُ وأنا برُفقة زوجي –عدنان – لكنَّه لفت نظر الجميع حتى لقد أشار عليهِ زوجي: هل تعرفين هذا الشاب ؟! ... فأجبتُ: لا طبعًا ولماذا ؟!

– إنَّهُ الشابُّ الجميل الذي لعب دور الزوج والحبيب أمام النجمة يُسرا في مَلَك رُوحي .. فأجبتُ: أنا في الأساس لم أُتابع هذا المسلسل ولا أذكر الاسم .. وداخلي يقول: هذه الصُّورة تكاد تكون مألوفة !! ـ عام 2011

ازدحمت الصفحات بأحداث الثورة " ٢٥ يناير " لكن اللَّافت لي تاريخ عرض فيلم ٣٦٥ يوم سعادة .. بدأت أتتبَّع هذه الأرقام والتواريخ وأحمد عز الفنـَّان ...؛بعيدا عن المُصادفات والمُفارقات أصبح لي ما يزيد عن عشرة أصدقاء على- الفيس بوك - يحملون هذا الاسم و لم يك للموضوع أهميَّةٌ حتى ذاك اليوم !!

.....

ـ الخميس 10 / 11 / 2011

ليلة عودتي من عمَّان ـ الأردُّن ـ رابع أيَّام عيد الحج؛وجهازي ((الحاسوب)) مفتوحٌ أمام شقيقتي ميَّاده تُتابع أصوات الدردشات فقالت تُمازحُني: تُدردشين مع مَن ؟! .. تتصيَّد اسما يشغلني أو تفتح الحوار على بوابة المجهول !!

ـ لا أحد كان جوابا غير مقنع ـ أين المُعجبُون ؟!

فوضعت بين يديها الجهاز دليلًا قاطعًا ، فإذا بأحمد عز يظهر - أُون لاين - فقالت : ألا تُدردشين معه ؟!

أجبتها :لا طبعا وهل هو أحمد عز أصلًا ؟!... غالبا هذا أدمن ويستحيل هو !... فقالت : جرِّبي لستِ خاسرة !

وكتبتُ أوَّلَ عبارةٍ ... كتبتُ بعدها ما لا عدد له من العبارات وبدأت رحلةٌ في كُلَّ الأرض عبر كل السنين ، العشق .. إنـَّه المُستحيل و الأعمى الضرير يتشبَّثُ بالحياة وهى في رحمِ الموت الأجير !!

لم يكُن مشروعا للزواج رغم محاولاتٍ عديدةٍ بتوطيد المسرحيَّة الفُكاهيَّة بعقودٍ من نسجِ الخيال و بدأت برقم الهاتف الخاص ثم الرقم السريّ للصفحة والصورة على سريرٍ أبيض له أعمدةٌ من الخشب البُنيِّ القاتم وحادثة المركبة الحمراء (شفر) ورأس السنة وحادثة أحمد السقا ، وتعطيل تصوير

المصلحة والساعة الذهبية في فِيلم حلم عزيز .. تنتهي بالمقال

المشئوم ؛ " أكَّدت الكاتبة والفنَّانة التشكيلية السعودية هيلانة الشيخ ـ وهو اسم الشهرة علي صفحتها علي الفيس بوك علي حدٍّ قولها ـ:
أنها تمكَّنت من كشف المُخرج خالد يوسف في انتحال شخصية الفنـَّان أحمد عز علي الأكوانت المُزيـَّف له علي الفيس بوك كي يقيم علاقات غير شرعية مع الفتيات !!
كما أكَّدت أنه كي يـُثبت للفتيات أنه أحمد عز فعلًا يقوم بإرسال صور لأحمد عز وهو عاري كي تكون هي الإثبات الحقيقي علي أنه عـز !!
أوضحت الشيخ :أنها استطاعت أن تـُسجِّل فيديو بكاميرا ويب لخالد يوسف وهو عاري تماماً ومخورٌ !!؛مُشيرةً إلي أنه كان دائماً يقوم بهذا الفعل مع الفتيات !؛وأنه قد اختفي فترة زواجه؛ولكنه عاد ليقوم بنفس الأفعال التي قام بها من قبل !!
أكَّدت أنها كشفت أمر خالد يوسف من خلال الصُّور التي يـُرسلها لها في كل مرَّةٍ من إميلات وحسابات وهميَّة بأسماء فنـَّانين !؛ ولكنها من نفس الجهاز وتحمل نفس رقم الآي بي الخاص به !؛ كما أنه كان في كل مرَّةٍ يـُخطيءُ ويحكي تفاصيل مُشتركة في المكالمات !!
وأكدت أيضاً:أنه في مرَّات عديدة واجهته بكلامه؛فاعترف أنه كان مخمورا وأنه يقول كلاماً لا يدري به !! "
هكذا تنتهي القصَّة وتبدأ في ختامها ألف قصَّة أصبحت الصفحة للثورجيِّ الحالم من المنوفيّة – سعيد بدوي – ومازالت حتى عام 2014
أُغلقت في سُخونة أحداث التوأمين النكرة ، أمَّا هيلانة فلابـُدَّ أن تعترف بحقيقة الصورة وفي موجةٍ من التهديدات الكاذبة ابتعدتُ

بعيدا بعيدا حتى اقترب منِّي أحد المُنتحلين يستشهد برقم الهاتف الشخصيِّ للفنـَّان عز فدار حوارٌ ساخنٌ أفصحَ لي عن جُملةٍ لا يعرفها لنا ثالث ـ أنا وعـز على صفحـة الفيس بــُوك ـ !!
بدأتُ أتراجع ورفضتُ الاسترسال وبعد العام سقطت في شُبـَّاك الوهم عالقةً بطُعمِ الماضي !! .. و كأنما القدر يَحْبِكُ لي قصة جديدة .. طلب مني المساعدة في
البحث عن دواء في المملكة ؟!.. بدأتُ أستقطبُ الحقيقة حتى أيقنت أنَّ الرجل يمتلك صوتا يكاد يكون صوت أحمد عز الحقيقيّ !! طلب مني خاتما يحمل اسمي وقطع عهدا أن لا يكون لسواهُ .. وحصل !!
حتى تمكنتُ من كشف الاسم الرسميِّ لصاحب الصوت – حسام لطفي إبراهيم – دارت الأيَّام وبين محتوياتي الرَّقم الخاص للفنـَّان السَّاطع ... أحمد عــز !!
فقرَّرتُ كسر المألوف ومُحادثتهُ وكُلِّي ثقة أنـَّهُ لن يتجاوبَ وكان مُسلِّيَا لي ذلك التحدِّي مع المستحيل .. كم يستهويني الغموض والجبل العنيد في هذا الحجر البشر و لم يستعصِ علىَّ بشـر .. لكنـَّه استنفذ كُلَّ طاقاتي !.. وبكُلِّ غُرورٍ كاد يسـقط مرَّةً فـي دقيقتين من الحوار البارد .. مفادُها: هل خالد يوسف انتحل اسمي حقيقةً ؟!.. كان الهاجس الوحيد في رأس عز كيف يُدين خالد بجريمةٍ لم يقترفها .. اكتشفتُ بعدها سبب العداء المدفون في قلب عز نحو خالد ، فهو أوَّل بابٍ انغلق في وجههِ يوم بادر مُتلهِّفا للوقوف أمام فُرصةِ العمر في قبضة خالد يوسف !!

.....

هل نلتقي يوما يا أحمد وأضع الصورة في قبضتك الباردة ؟!
هل يعجز المشهد أمام حشد المشاهدين أن يكشف الورقات الناقصة ؟!.. هل تنتظر النسيان كي يطوي الإنسان دون زمان ؟!

قرَّرتُ التدريب في النادي الخاص للفنـَّان المغرور ابتدِعُها صُدفةً وأُشهدُ الملأ ردَّة فعل أحمد عز إذا سقطت عيناه في بريق عينىّ ؟! واليقين يدفعني للتحدِّي ولو كان الثمن كل حياتي لابـُدَّ أن أكشف المستور فأنا من سجدت في ساحة الكعبة ليلة اكتمال القمر مُتعامدا في ساعة الفجر تتوسل ربَّ الخلائق أن لا تكونَ لغيركَ حلالًا ومن واجهتكَ علناً أنك لن تكون زوجا لغيرها !! ليست مُجردَ دُعابةٍ بل هاجسا يجتاحني في مناماتي كُلَّما أتلفتُ صورةً من صوركَ العنيدة تتحدَّى عوارض النسيان ... لحظة الهروب من الزمان !!

.....

ـ المقالُ الغائب !!:

مالا تعرفونه عن أحمد عـز الفنـَّان ؟!

وُلِدَ في الثالث والعشرين من يوليو ؛المُطابق لتاريخ ثورة الضُّبَّاط الأحرار وكان يتباهى في كل لقاءٍ بهذا التاريخ المُميـَّز ، زائد المصادفة الأغرب التي جمعته بأحمد عز المُتـَّهم الأوَّل في تدمير الشرعية !!

وبالرَّغم من الغيمات السُّود التي تحوم على هذه المصادفة إلا أنَّ عز الفنـَّان فخورٌ بالتشابهه جداً !!

وجاء عرض فلم – المصلحة – مُوافقا لأحداث ثورة ٢٥ / ١ / ٢٠١١ !.. وصادف عرض المصلحة ١٦ / ٥ / ٢٠١٢ .. أحداث الشغب وكارثة الشعب ضد الشرطة .. وعقبَ ذلك عُرِضَ حلم عزيز (٦ / ٦ / ٢٠١٢ .. وأحداث الغضب المُستمرِّة التي تتعاقب أحداثا غامضة وكتبت الصَّحافة جُملًا ساخرة موجزها:لابـُدَّ أن يترك عز التمثيل لأنـَّه نحسٌ على البلد !!

.....

أحمد عز صورةٌ من نسج الصورة ؛ أحمد عز يتوارى في
أحمد عز وضريبة الشُّهرة قُضبان من العشق تنفي الحق !!
حَذْفُ مقالٍ لن يمحو شُعاع الحقائق في بطن السماء أحمد عز
الإنسان والصورة التي شوَّهها الرُّكود واغتصب براءتها الجُحُود ,
وَحَظْرُهَا من أجندة الأرقام ... لا يعني وأدها حيَّةً في أسرَّةِ
الأحلام وتبقى الصُّور سجال صورةٌ لك وصورةٌ عليك قيـَّدتك في
خارطة الأيَّام ولكنها فرَّقتنا و إذا ما مرَّت على الخاطر لابُدَّ أن
يتجاهلها الحاضر .
أحمد عز ؛ صورةٌ تجتاحني كُلَّما تأملتُ اللحظات الفاصلة بين
لقاءٍ كاد وطار في مُدرَّجات الهروب هل هي مُصادفات ؟!
أن تقف على بوَّابةٍ أنا خلفها فتنسحب مُتجاهلًا رائحة الشوق
عبَّقت الوجود يستنشقها جمود المُتابعين وتختنق صُورتي في
ورقاتِ الحيرة لماذا يفصلني جدارٌ أو لوحُ زُجاجٍ عن صُورةٍ
تسكُنني مُنذُ أكثر من خمسة عشر عام و لماذا يجرفني المجهول
وأنا بحرٌ جرفَ كل العقول ؟!
لماذا أعشقُ السَّراب وبين خلجاتي يعشقني التـُّراب ؟!

.....

أَنَا وَأَنْتَ وَالقَدَرُ أَنَا وَأَنْتَ وَالقَدَرُ
عَلَى الطُّرُقَاتِ نَفْتَرِقُ وَرَغْمَ العِشْقِ نَفْتَقِرُ
وَنَبْكِي الحَرْفَ إن حَكَمُوا وَنَرْثِيهِ وَنَحْتَرِقُ
وَنَشْرَبُ كَأْسَنَا بَارِد نُذَابُ بِجِلْدِنَا المُرُّ
نُلَوَّنُ مِثْلَمَا الوَرَقُ بِفَصْلِ الخَرِيفِ نَنْتَشِرُ
وَنَسْقُطُ فِي رَحَى الزَّمَنِ نُفَاوِضُ ثُمَّ ننكسِرُ
أَنَا وَأَنْتَ وَالأَرَقُ نَنَامُ وَنَصْحُو وَنُعْرَفُ أَيْنَمَا الوَتَرُ

لَنَا الأَيَّامُ نَسْتَبِقُ كَأَنَّ سِلَاحَنَا الدَّهْرُ
لَنَا أَبْنَاءُ قَد غَرِقُوا بِدَاخِلِنَا قَبْلَمَا خَرَجُوا
بُذُوراً تُقْطَفُ الزَّهْرُ

.....

أحمد حامد

.....

أحمد حامد أغلى صُورةٍ في ميزان الرجولة و المُدرِّب
الأقرب إلى رُوح الهيلانة والأخ الأصغر من رَحِمِ الأُسطورة !
جمعتنا الصُّدف والشَّبه فاقرتبنا والتقينا وافترقنا !
وصورةٌ غاليةٌ جمعتنا !
أحمد حامد كان عونا لي في أزماتي ونورا في ظُلماتي
وأرضا في رحلاتي والفاصلة في كل كلماتي !
أخي الذي أبكي على دفء صدره الطاهر ينزع الحُزن عُنوةً
بجبروتِ الحُب ، لم يرفض لي طلبا مهما كلَّفه الثمن لم يبرحني
في عصيب الزمن أحتمي بهِ كلما دار الألم !
امتثلَ لرغبتي المُدلَّلة و أدخلني النادي الذي يشترك به أحمد
عز مُغامرا بعز لأجلي أنا وهو مُدركٌ أنَّ عز سيغضب إذا
أدركه معي !.. و لكن عز أوشكَ على الدُّخُول وخرج في لمح
البصر هل كانت مُصادفةً أن يقف بمركبتهِ أمام البوَّابة .. ثم
يتراجع هاربا ؟!.. ليس الأهم !
أحمد حامد وهذه التضحيات أين انتهي بها ؟!
لم يُسعفني الوقت لاحتفل بعيد ميلادكَ يا أحمد !؛و جهَّزت هديَّةً
مُتواضعةً ... ولكنَّ رحلتي أقلعت في الثواني الأخيرة وأنت في
الطريق لا تدري كيف تنهال دُمُوعي شوقا إلى لقاءٍ أخير !

أحمد حامد ... آخرُ صُورةٍ غادرتني فِي مطار القاهرة قال : والله لا تبكِ فدموعك أغلى من كلِّ الكلام !!
وما زال قلبي يبكي الاشتياق بين طِيَّات الفراق عاكفٌ على ورق الرفاق . أغلقتُ هاتفي وكتبتُ في وداع القاهرة:

يَا لِهَاذِ القَاهِرَه سِحْرُهَا وَضَحُ النَّهَار ..
جَسَدُهَا حَوْضُ العِبَار .. يَحْتَوِينِي حَائِرَه ..
بَيَن طُهْرٍ وَاحْتِضَار .. بَيَن فُجْرٍ وَانْكِسَار ..
بَيَن وَهَجِ الانْفِجَار اسْتَغِث كَالثَّائِرَه
أَتَسَكَّعُ كُلَّ فَجْرٍ
مِعْطَفِي لِلبَرْدِ صَدْر وَمَتَاعِي دُونَ صَبْر
لَيْتَ هَذَا العُمْرَ دَهْر يَتَّسِعُنِي وَاهِرَه
آهِ منها السَّاهِرَه
نَرْجِسِيَّةُ فَاخِرَه كَالفَتَاةِ الطَّاهِرَه
بِالوُجُوهِ الصَّابِرَه وَابْتِسَامَةُ نَاهِرَه
هَتَّكَتْنِي فَاقِرَه هَل أَعُودُ السَّاهِرَه ؟!
أَطْوِي شَوْقِي بَيَن وَرَقِي
أَنْعِي أَرَقِي نَحْوَ طَرْقِي
تَنْجَلِي بَلَدَاً قَاهِرَه
أَيُّ بَلَدٍ مِثْلَ بَلَدٍ زَلْزَلَتْنِي صَدَّعَتْنِي
بَدَّلَت خَوْفِي لَوَّنَت حَرْفِي نَسَجَتْنِي خَاطِرَه ..
فِي وَدَاعِ القَاهِرَة
17 / 9 / 2014

.....

إيمان البحر درويش

.....

إيمـان البحـر درويش الصُّورة الأنقـى فِـي بحـر الجمـال !
زمـن الـرِّجـال الصُّفْـي كَـأنهـا صُـورةٌ مِـن وَحْـي الخيـال !

دُون مُقدِّمات .. تجمعنا المُصادفات
صديقان في طيِّ المسافات يندفقُ بعُمقِ البحر ويَهِلُّ بوجهِ القَمر
و تحوَّلت الصورة في صفحاتي كنفحةٍ تنزِعُ أوجاعي وتُخفِّفُ
لوعاتي لم نقترب كثيراً ، حواراتٌ خاطفة وصداقةٌ طاهرة ولستُ
أُبالغ !.. كـأنِّـي المُدلَّلة الصغيرة والفاتنةُ الأميرة ولا عَجب؛فهذا
الرجل في لحظةٍ لكُلِّ القواعِد غَلب !
هاتفني ذات صباح ؛كشُروقِ النـَّدى الفـوَّاح !اقترب إلى قلبي
رُويدا رُويدا كأنه يكشف بحرا من الغرام فـي صمتٍ دُون كلام
وأخذَ منِّـي عهدا أن نلتقي مع طيِّ الأيَّام !
وبين الجُمل سألني :هل من المعقولِ أن نلتحم ؟!
فارتعبَ صوتي خشية أن أقع في عشقٍ حرام !
فأنا على ارتباطٍ يتأرجح في ساعات الانفصال ليتهُ ما كان !
وصلتُ القاهرة ويستحيل أن أعود دُون لقاء إيمان البحر
وفـي زحمة الزمن اغتصبتُ بضع ساعات تناولتُ الغذاء وكأني
طبق الحلوى يتأمَّلهُ دُون لمسهِ في مطعم – وادي النيل ، مطعم
بون ابيتي ـ ش وادي النيل ـ

إيمان البحر الصورةُ. الأصغر والرحلة الأقصر لكنـَّها على قلبي ... الأخطر
أخذني عبرَ الشوارع نستمعُ ونستمتع بصوتهِ الأعذب وقلبي بكُلِّ ما فيهِ يَطرب تـواعدنـا أن نلتقـي صبـاحا ونتنـاول وجبـة الإفـطار برُفـقـةِ ابنتـى المُدلَّلتين تالـه ـ وتيَّـا .. وكانَ آخر نهارٍ لي في القاهرة الساحرة .. كان مُفترضا أن تـُغادر الطائرة الحادية عشر مساءا لكنَّ الكارثة أن التوقيت أخطأ وعلىَّ أن أُغادر قبلَ الثالثة ظُهرا !.. احتبستُ مرارتي ولا مساحة لي كي أتقابل إيمان للوداع !.. وخَفَّف صدمَتي اعتذارهُ فـي الثوانِ الأخيـرة بسبب تأخيرٍ طارئٍ فـي الجلسة المُنعقدة بخصوص أعمال النقابة !.. ضاعت فُرصتي الأخيـرة !... غادرت وشيءٌ مُعلَّقٌ في خاطري !.. كُنتُ أتلهَّفُ وداعا أنا وابنتايَ الصغيرتان !
إذا غادرت الصورة تبقى قُبلةٌ على كفِّي مأسورة !
لم أتعلَّم أن العشق للأرواح أعمقُ مـن البحار إلَّا بين موجاتِ إيمان تحتضرُ عليها كل الأقـدار !
وتبقى صورة إيمان البَحر تتلاعبُ ركودَ السَّطر تكتـُبني مُدلَّلة القَمر .

.....

الدكتـور

أحمـد الحسيني

.....

الدكتور أحمد الحُسيني صورةٌ أعظَمُ مِن أنْ تَكونَ مِن وَرَق ، صورةُ الحياةِ والأملِ إن يَوما صَدَق . لأنهُ الأُستاذ المُعلِّم ؛والصوتُ

المُعَلِم وَالضوءُ الشَّارقِ فِي غَيباتِ الجَهلِ إن ظَلَم أنصفنـي مـرَّات وَ مـرَّات ؛أعظَمهَا يومَ هَاجمني النـُّقاد على قصيدتي:

" يا صاحِبَ الذوقِ الرفيع يا صاحِب القلمِ البديع
أرهقتني .. ونَفَيتَ أحلام الربيع ..
فكَّكتَ لُغزاً .. وكسرتَ ميزاني الضَّليع
ورفَعت منصوباً وضيع
كُنتَ المُعلمَ والبَليغ كُنتَ المَعاجِم والفصيح
كُنتَ المُرادِفَ للمنيع والآن تحذِفني صريع
لكُتبٍ لا تمحو الذريع عنوانها حتماً صريح
ومقامُها ظرفٌ مُريح مضمونُها حُرٌّ ذبيح
مِنهالُها فِكرٌ جريح لكنها لن تنتهي
وستبقى فيكَ تحتكمُ بالحرفِ المُطيع !"

وَكانَ هذا الكسرُ مقصودا ؛ لكن أمتنعَ كبريائي الجدَل وَما أزال أتمسَكُ البيتَ: " وَسَتبقى فيكَ يا رضا " ولا يخطرُ ببالِ أيٍّ منهم لما ؟!.. يومها أيقنتُ أن الدكتور أحمد الحسيني هو ذرعُ النصر فـي ساحةِ الصبر ، دَخل بمختصرٍ مُفيد شارحا الكسرَ هنا بقاعدة المسمطات .

المسمط أو المسمطات : نوع من الشعر يبتدئ فيه الشاعر ببيت مصرع غالبا تسمى قافيته عمود القصيدة ؛ثم يأتي بمجاميع من الأشطر في كل منها خمسة أشطر ، الأربعة الأولى منها على غير قافية و البيت الأول – عمود القصيدة – والشطر الخامس على هذه القافية ومثاله المسمط المنسوب إلى امرئ القيس ـ وقيل :إنه منحول ـ:

توهمت من هند معالم أطلالِ

عفاهنَّ طول الدهر في الزمن الخالي
مرابع من هند خلت ومصايف
يصيح بمغناها صدى وعوازف
وغيّرها هوج الرياح العواصف
وكل مُسفٍّ ثم آخر رادف
بأسحم من نوء السماكين هطال

وَهكذا تُوجت الهيلانة ملكةً في فِطرةِ الشعر ونجمةً في إبداعِ العصر !

أحمد الحسيني ؛ صورةٌ علَّمتني بلاغة البليغ وبداعة البديع وكَيف الحق يستحيل أن يضيع ، نَعم هذا الرَّجل الواعظُ الأول في محافظة المنصورة وَالخطيبُ الأزهري في جوامعها... أكثَر عليَّ مِن الحبّ وَالكرم وَأغدَق عليَّ ما استقامَ بهِ كل قَلم .. تسامرنا ليلاتٍ قُبيلَ السحور ؛وَتجادلنا ساعاتٍ وساعاتٍ دونَ فِتور ، أوجزَ لي عروض البحور ... وَثبّتني في رحلةِ السطور .. صورةٌ وَسَّمت جبهتي فخراً وَأشعلت عزيمتي فجرا من الشموخِ الصبور ! كُلَّما تلاطمتُ في زوبعاتِ القدر ... أسعفني بكفِّهِ الجسور يُهاجمُ الضعفَ في أُنوثتي ... وَيسندُ الأملَ كلما احتدَّ اليأسُ خَطوتي .. هكذا يمتدُّ الساقُ النحيل حتى يخترقُ المستحيل مِن حُجرةٍ مُظلمة تُبصرُ النجاحَ في عيونِ ((أحمد الحُسيني)) الدَليل !!

تنتهي الصُّور لكنَّ هذِ الصورة حتماً لن تنتهي !!

وتبقى لوناً للخلودِ الذي لا يبهتُ ونهلًا للصمودِ الذي لا يتعبُ مهما مضت !!

.....

الملحـن المـصـري

محمـد نــور

.....

محمد نور صورة الأحلام في واقع الكلام
بدأت في: ٢٥ / ٩ / ٢٠١٣
كان مـشروعا للأمـل والعـمـل مع المُـوزِّع المـوسيـقيِّ وَالمُلحِّن الموهـوب .. تحاورنا ما إذا كان مُمكنا أن يُلحِّن بعضا من كلماتي وأن يأخذني لطريق الوسط الزاخم ، لكنَّ الأيَّـام في طرفةٍ طوت الكلام .. ونسجت قصَّـة عشقٍ غريب !
تعاهدنا على الزواج بعدَ إجراء والدي لعملية الثــُّقبِ المُفاجئ لعينهِ اليمين واقتربنا كأننا روحا في جسدين !!
اقترب من بناتي رُويداً رُويداً ورسمنا صورةً غير كل الصور نلتحمُ في جُملةٍ صامتةٍ ونفترق في غضون الشوق ونلتقي مَع حرارةِ العتاب نذوبُ في صمتٍ كأغراب وإذا شاهدَ أحدهم الصورة قال :كم تتشابهان ..
كان يـُداعبني كالطفلة ويـُوبـِّخُني إذا أهملتُ بناتي ويتغزَّل بعينىَّ وهو خجُول يعرفُ ما يحومُ برأسي دون أن يسألني كان ذكيًّا مُنحازا للسيسي بطريقةٍ مُبالغةٍ مُتعصبِّا للجيش المصري !.. ينزعج لأصغرِ الأمور ويتبدَّل حاله ويُتجنَّبُ بعيدا مُعتزلا مُكتئبا يتجاهلني أيـَّاما طويلة ويعود كأنَّ شيئً لم يكُن !!
حتى توفي عدنان بدأ يبتعد ويختلق الأعذار وأنا غارقةٌ في سمومِ حياةٍ جديدةٍ أتنفَّس السَّكِينة في صوته الحنــون ، يختفي الصوت وتتلاشى الصُّورة أتخبَّط على ملامحها أختنق مِن رائحة الذكريات تحطَّم قلبي على حافةِ النهاية و بدأت تتشقَّق الصورة

رغم حاجتي لها ألملمُ أشلاءها ، أجمعها كُلّ منام ، أتسامر بها في سوادِ الظلام .. وليلةٌ من ليال العتابِ انفجرَ قائلًا: " أنتي بنت ناس ، أنتِ أكبر من هذه الخرافات !!" .. لا أستوعب لماذا جرفني هذا الرَّجُل وكيف تمكَّن من كسر الحدود واستيطان أرضي دون عقود ؟!.. هل كان عشقاً بحق ، هل رحلت الصورة ؟! هل زال الشوق أم انخمدَ في زحمةِ العاشقين ؟!
هل خدعتني ملامح العينين ونبرةُ الغرام في أجمل الأحلام ؟!
سأطوي هذه الصورة رغمًا عنِّي ولكنَّ القدر طواها بكفٍ ليس كَفِّي .. جاء محمد يمحوه .. محمد

" بيَن المُحَمَّدَينِ يأكُلني اللَّظى
وأنشَطِرُ كالمَذبوحِ مَخذُولَ الرِضى
لا أدري أيّ محمدٍ سَلبَ النـَّوى
واللّيلُ طرَّادٌ وما اللَّـيلُ طَـوى
أوشَكتُ نِسيانا فـأرجَعني الـهوى
لا أستكِن بِقلبِهِ وانقَلَب الدَوا
بالأمسِ كُنتُ وِسادتهُ التـي
يَركِلُها ثمَّ تعودُهُ راغبـةً
والآن أشتَهي حُلما يَنقضي
أقُـدُّ أضلُعهُ أنـزَعُـني هارِبـة
لو يُستبـاحُ القَـتلُ أقـتلهُ أنـا
والله قَـتلُ العاشقيَن هِوايتي
لكنَّ أسلِحتي تُحيي الـوَنِـي
وتـُعيدُ للجُـثـَّاتِ سَطوَ وِلايـتـي
مَن يحتـويـني ؟! قـلـبـي مُـمَـزَّقٌ
شِطرٌ حكِيمٌ وشِطرٌ جُـنـَّنِ

والعقلُ مخمورٌ وطَيْعُ مُعلَّقُ
ينعي مُحَمَّدَ من مُحَمَّدِ يُمنَنِ "

بدأ يتسرَّب الحزن إلى حياتي لتنسحب صورة محمد نـُور المُعلَّقة على ورقاتي دون صفحات فقرَّرتُ بإلحاحٍ من ابنتي – تالة – أن أسافر إلى القاهرة أضع النقاط على الحروف ، أضع الصُّور المتناثرة في صفحةٍ واحدةٍ ، امنحُ قلبي فرصةً أخيرةً في اجتياح مرحلة الاضطرب وداخلي يرفض بشدَّة أن يتواجه مع محمد كأنّي أخشى هذه النهاية !!

لحظة الوصول ... كيف كان اللقاء ؟!.. غيَّم الخجل والصمت الجامح حتى بدأت تالة بمُلاطفة الأجواء ؛ أمَّا تيَّا فقد كدَّرها اللقاء و عكَّرت فُرصة الاستمرار و اندلعت كالحرب الغاشمة تقذف نيران غيرتها عليهِ لم أتوقَّع منهُ هذا الصبر المخيف .. اصطحبني هاربا لسهرةٍ صاخبةٍ بين رفاقٍ لم يروقوا لي ولكن فرحتي باللقاء غطَّت كل النواقص شعرتُ أنه الرَّجُل الضائع يتخبَّط لا يدري أيّ قرارٍ سينتهي بنا رغم نظراتهِ العاشقة ؟!

كان يـُخبِّيءُ صورةً رُبَّما هي صورة امرأة !.. لم أشعر بالأمان و خالجني شُعُور بالغُربةِ وأنا بين ذراعيهِ لم يلمسني ولم يحاول ولم يتلهَّف لقُبلةٍ عابرةٍ !.. قرَّرت الانسحاب و للأبد !!

وما زالت تـُؤلمني ملامح هذه الصورة !.. رغم جمالها الفتـَّان وداعا أيـُّها الفنـَّان لا آسف على عامٍ مضى والعشرون عام مضت في محطَّةٍ سابـقـةٍ !!

.....

محمد دحـروج

.....

خُـدَيْـجُ نَـحِـيـلٌ أَغَـرَّ الـقَـصِـيـدْ
عَـدَا فَـوْقَ سَـطْـرِي كَـظَـبْـيٍ شَـرِيـدْ
دَنَـا مِـن حُـرُوفِـي بِـحَـرْفٍ وَلِـيـدْ
سَمِيـرُ صَـغِـيـرُ دَرِيـرُ فَـرِيـدْ فَـمَـن ذَا عَـلَـىَّ أَجَـادَ الَمـكِـيـدْ
فَـحَـتْـمَـاً لِعَـرْشِـي وَحِـيـدُ الـنَّـدِيـدْ وَمَـا كَـانَ رَجُـلًا إِذَا مَـا يـُعِـيـدْ
وَيـُلْـقِي التَّـحَـايـَا هُـنَـا وَالـوَعِـيـدْ
فَلَـيْـسَ مَـقَـامِـي أُجِـيـبُ الـطَّـرِيـدْ
وَلَـكْـنَّ كَـرَمِـي أَصَـابَ الـوَرِيـدْ وَكَـلْـمُ الـكِـرَامِ كَـسَـيْـفٍ حَـدِيـدْ

.....

محمد دحروج الصورة الخاتمة و الختمُ مِسكُها !!
الأديب الشاعر العاشق الرجل والطفلُ وَالكَهْلُ والرُّوح
في جسد الحياة ، أنجرفُ في كلماتهِ وأبحث كتاباته هاويةً غاويةً !؛وأقفُ على قصيدةٍ أشاكسُ جواهرها فأقول : يا ماكِر الحرف !.. أرمي بها طُعما لاستدراج المجهول والفتى الخجول .. فيبتلع الطُّعم ويقع في شباك الفضول و تتوالى القصص وتتشكل الصورة حتى بدأت تتغلغل في كُلِّ مكان تتحدى الزمان ، و بدأ يتجلَّى للجميع اندثاري في مُتابعة دحروج الفتى النحيل الأسمر الجريء الخجول العنيد المطيع المغرور المتواضع . حذَّرني أُستاذي الأقرب إلىَّ الأزهـريُّ الجليل الدكتور أحمد كمال سالم من اللعبِّ بالنـَّار وقال:احذري هذا الفتى رُبَّما تقعين في عشقٍ وأنت رافضة للزواج فتتورطي في صراعٍ بينهما ، ولم آبه ثقةً منـِّي أنـَّه يستحيل على رَجُلٍ أن

يقتحم قلبي ويتمكن من مشاعري دُون زواج .. فوجد منِّي لا مُبالاةً وهو العالم بشغفي لاقتحام الصور الثريَّة
فقال :تذكَّري أنَّ محمد دحروج شَابٌّ عنيدٌ وإذا وقع في العشق لن يقبل الخسارة في ساحتكِ الساهرة
بدأ يخترق قلبي المُتحجِّر في سُكون القدر ولم يكُن في الحُسبان ما أخَّر المصير و كُلَّما داهمني الخوف لحظاتٍ عابرة غلبني طوفان في طهارة الرُّوح الساجدة في محراب الشوق لا مجال للانسحاب ، انكسر الباب وبدأ يكتُبني دون كتاب
أيقنتُ أنّ قدري يقترب ولا أدري ويمحو سطور الماضي حتى أتى سَطْرَي .. محمد دحروج فتح نافذةً للتحدي بدون مفتاح يوم بادر مُقتحمًا الخاص بسُؤالٍ جرف ألف سؤال ودُون إدراكٍ دخلني وعبر طفولتي وأُنوثتي وأُمومتي وأنصتَ
ساعات مُتأملًا التفاصيل دُون مللٍ مُندمجا مُستسلما لسُّكون السُّطور !.. حتى أشرق الصباح وغادرني ساعات وعاد وما غادرني إلى الآن ترسَّخ داخلي خوفٌ غير مسبوق
قرَّرتُ مُواجهة السباحة في بحرٍ عميقٍ وألقيتُ جسدي دُون طريق !!
أمَّا – سُقْرَاط – فقصَّةٌ أُخرى رغم أنّي كُرِّمتُ في مهرجانات أكثر انتشارا سبقت هذا المهرجان ولم أبادر بالحضور إليها لكنَّ لهفتي للقاء محمد دحروج ونزعة التحدي أربكتني فخرجتُ مسرعةً في أوَّل رحلةٍ جويَّةٍ مُنطلقةٍ من المدينة المنوَّرة إلى القاهرة أُسابق الزمن فى التوقيت الفاصل قبل يوم المهرجان وكسرتُ القاعدة في زحمة دوَّاماتٍ تعصف بي إلى الوراء فأتقدَّمُ بشراع الشوق أخترق كل العقبات لَاحَ لي محمد دحروج في – مهرجان سُقراط ـ بمدينة المنصورة

المصريـَّة ـ ومن بعيدٍ كان يخترقني كما لو كنت سحابةً في ضياعٍ كثيف .. صعدَ على المنصـَّة ألقى قصيدةً ترميني بسهام الغرام أصابت بعض الأحلام !!
أنهكت سكوتي بدأت أشعر بحرارةٍ شوَّشت ملامح الصورة أتلعثم كأنّي عاريةٌ في كومٍ من الجليد !أبحث زوالَهُ كالنـَّار في قدحٍ حديد وفي الثوانِ الأخيرة تداركت بقايا الهيلانـة والتحمتُ مع صورةٍ باهتة كأنـّي أنا .. ولستُ أنا !!
وتصافحنا ورحلنا لكن القدر أراد أن يجمعنا جاءني بشوقٍ لم أعهدهُ في قوانين العاشقين تقدَّم بهدوءٍ واقترب وما زال يقترب حتى التحم في كُلِّ أرجائي و مضت ساعات في شوارع القاهرة نخطو خطواتٍ بطيئةً إلى محطـَّةٍ جريئـةٍ !!
يُحاول قبض شيءٍ منـِّي ولو خصلة من طرف شعري يشهق من زفـيري مُستغيثا بدفء الأمل يتمرَّد على شفتي وكُلَّما مرَّنا عابرٌ رمق بحيرةٍ تحكي مِن أيِّ العصور هاتين الصُّورتين ؟!
ولولا قسوة النـُّعاس لما عتقَ كَفِّي وهذا السُّور المرتفع يُغازلني غيرةً فأتسلق صهوتهُ في غرور وكُلَّما حاولتُ الهروب تغلبني العهود فهل تبقى هذه الصورة ؟!
من أنت يا مُحَمَّد ؟!.. وإلى أين نكون ؟!
أبكي دموع العشق فيبكي حرارة الشوق نتبادل القصص !
ونقف على جُثمان الحُزن ننبش لهُ قبرا ونجمعُ حصواتِ الأمل نبني منها جسرا ونتلسق أشواقنا نتأمَّل من قمَّتها قوافل القصائد تسافر في صفحاتنا تـُغازلنا و تغار من قُبلَتِنا وفي خارطة الأيَّام نتراهن ونعشق الخسارة و نتعاتب ونلعقُ المرارة ولا نقبل الفراق مُحَمَّد لن أقبَل القيـود فلابـُدَّ أن نلتقي في تقاطع الزمن وأن نموت في نفسِ الكفن !!

وإن فاضَ قلبك غيـرةً فلا تنعتني بالغبيَّـة أو الأديبة الفاشلة وليس عشقًا يمنعني من العراك أو لساني القصير يحولني عن بذاءتي ولكنَّه الطَّبع الغلَّاب الذي تَمكَّنني و سجَّلني بدون كتاب !!.. وتبقى نهايتي في رَحِمِ الحكاية تنتظر الولادة في ساعةٍ مقتولة .

هذه الصورة تداركت بها نهايتي وقرَّرتها خاتمتي اختصرتها دون سردٍ فما أظُنُّها تحتمل السَّرد والإفصاح

محمد دحـروج الصُّورة التي أشعلت رغبتي في الحياة من جديدٍ في مرفأ النهاية قرَّرتُ الكتابة على قارب البداية ... فتنتني هذه الصُّورة .... علَّمتني جبروت الإرادة .... وكيف أحفر الصخور على مقابر السُّطور .... وأخلع شرنقتي كى أُحلِّقَ كالصُّقُور !! هذه الصُّورة ألهمتني الأمل وفكَّكت عُقدة الفشل ... فما كنتُ سأضع اللبنة الأولى لولا لم يرمِ لي سُلَّماً من عشق النجاح ؛ قال لي : أنت قصَّةٌ وصُورة الملاك في وضح الصباح

وهنا بدأت شخصيَّاتٌ من ورق !!

.....

بـينـي وبـين مُحَمَّـد دَحْــرُوج

وكانت هذه بعض ثمارِ النزال بيننا على صفحات شبكاتِ التواصُل ؛ إذ حاكت صُورا أذهلت المُتابعين وأشعلت فتيل الحسد مرَّات وأثلجت قُلُوب العشَّاق مَّرات ومرَّات :

حبيبي أنت إن أسأل حبيبي قلبي لن يقبل

شريكاً فيك يتسلَّل وعهد الشوق لا يذبل

وهذا القلب لا يخجل

يريد العشق كالسغبل وما ذنبي إذا أسأل
لعلِّي أغار أن أغفل ويمضي بُرهةً أجلل
أراك بداخلي احْلِل فكيف الصمت يتحمَّل
ألا أسأل وفيك أنا ولا أكمل
إليك الرُّوح تتوسَّل
وعنك العمر يتبجَّل ولا العيب ما أقْلَل
وما للصبر ما عوَّل فهل أسأل
وفيها يذوب هـا أجمل حبيبي جوابها الأسهل
.....
وأمَّا هذه الأبيات فلا تزالُ تعلقُ في طيَّات كُلِّ الصُّور كُلَّما دخلتُ سجالًا ؛فلا أجدُ أجمل من هذه القصيدة ... ؛إذ حفرت في قلبي تاريخا
[26 / 9 / 2014] دُوِّنت فيهِ واحدةٌ من أروع قصائد محمد دحروج
في الهيلانة ـ لَأَجْلِهَا !!

لَأَجْلِهَا يَكُونُ هَالعَذَاب
لَأَجْلِهَا أَعِيشُ فِي جَوَىً
وَفِي اضْطِرَاب وَهَا الفُؤَادُ مُقْتَسَم
مُوَزَّعٌ بَيَن الحَنِين وَاكْتِئَاب لَأَجْلِهَا يَكُونُ هَالعَذَاب
عَذَابُهَا مُحَبَّب
أُجِيدُ أَن أَعِيشَ فِي الوَجَعْ وَمِن كُؤوسِ الحُزْنِ يَا وَيْلَاهُ
أَشْرَب
عَذَابُهَا مُحَبَّب لَأَجْلِهَا أُحِبُّ ذَا الوَجَعْ
لِنَبْضِ قَلْبِي أَسْتَمِع وَهَا أَرَاهُ فِي أَنِين

مُشْتَـاقُ لِلْوَعَاتِ لِلدَّمْعَاتِ
وَالحَـنِين
وَيـرْقُبُ الطَّـرِيقَ وَالمصِيـرَ
وَالسِّنِـين وَإِنـَّنِي أَخَـاف
نـُبُـوءَةَ العَـرَّاف تـَقُـولُ أَنـَّنِي أَمُـوتُ
دُونَ حُـب وَالقَلْبُ لَم يـَزَل بِعَهْدِهِ
وَهَـا يَشُب
لَكِنَّنِي هَـرِم فَالعُمْـرُ قَـد سَئِم
لَكِنَّهُ يـُرِيـدُ يَشْتَهِي لِبَسْمَـةِ الـدُّرُوبِ فِي
عُـيُـونِهَـا
تـُنِيـرُ
تـَزْدَهِـي لِقَلْبِهَـا البَـرِيء
لِوَجْهِهَـا الوَضِـيء
لَأَجْلِهَـا بـرَحْمَـةِ الإِلَـه
لَأَجْلِهَـا سَـأُكْمِلُ
الحَيَـاه ..
.....

.....

الـخـــاتـــمـــة
يأخذني الشوق إلى صُورةٍ دُون الصُّور
ليس لها عـُنـوان ، صورةٌ حفرتها على جُدران قلبي خبَّأها بين الصُّور لأنـَّها صورتي أنا في كُلِّ الوجوه زصُورة الحنين إلى طفولتي المسلوبة !إلى وطني المسروق إلى سجَّادتي المهجورة

إلى شبَّاك حُجرتي المظلمة إلى عينٍ أظلمت النور وعينٍ أبصرت الجور صورتي في مرآةٍ مكسورةٍ ولوحةٍ تعجَّنت ألوانها من حرارة الانتظار تحت شمسٍ مُتكبِّرةٍ - صورة الهيلانة -القصة الأُكذوبة بشعرها الذهبيِّ ووجهها، العربيِّ وقلبها الغبيِّ .. و في طيَّات الورق ! - فرجينيا - الصورة الحالمة المُقنَّعة بقناعٍ أسودٍ جسَّم هرَّةً مُدلَّلةً بعينين زرقاوتين أعمق من البحر وأبعد من السماء - فرجينيا - كما رسمتها أقلامُ الرصاص المكسورة ومسحتها ممحاة القدر وسجَّلت مكانها صورة - سهر - الفتاة العنيدة والطفلة الشرسة بخمار الصمت وعباءة الأُمُومة لوَّنتها خُضرةً كالربيع في سبع فصول وأربعين خريف مسجونةٌ في قلعةٍ مصنوعةٍ من الذهب ومربوطةٌ بقيد الزمن تنتظر الكفن حتى ثارت على كل الورق واستأصلت جنيناً من طيَّات الوهن صلَّبتهُ في سُفُوح الأمل دوَّنت عليه " هيلانة " وغلَّفتهُ بصورةٍ غير كل الصُّور وكتبت على أوَّل صفحةٍ - بقلمي أنا - شكَّلتها ورسمت خارطةً لها ولن أقبل استبدالها مهما كان الثمن ..